
بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب : كيف تبني شخصيتك الرسالية

المؤلف: سماحة السيد صادق المدرسي

التحقيق: دار البصائر للطباعة والنشر

الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦ م

عدد الصفحات: ١٠٠ صفحة

الناشر: دار البصائر للطباعة و النشر، النجف الأشرف، شارع الرسول (ص)، قرب جامع الأنصاري (قدس)

الهاتف: ٧٨٢٣٦٩٣٨٣٨ - ٠٠٩٦٤

كيف تبني
شخصيتك الرسالية

السيد صادق المدرسي

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ

غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

المقدمة

بقلم سماحة آية الله المجاهد السيد هادي المدرسي «دام ظلّه»

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين
بناء شخصية الانسان، هل هو من صنع الله ، أم من جهد البشر؟
هل شخصية كل فرد تأتي كموهبة الهية حيث يولد بعض الناس متميزين في ذلك،ويولد آخرون من دون اي امتياز؟
و اذا كان علينا ان نبني شخصياتنا فما هو المنهج وعلى أي اساس؟ وكيف؟
قبل الاجابة على هذه الاسئلة، لابدّ من معرفة امر مهم جداً وهو الغاية من وجودنا في هذه الحياة فما هو الهدف من وراء خلق الانسان في الدنيا؟
و الجواب: الهدف هو ان يتكامل من خلال بناء نفسه ، وكسب المراتب العالية التي تؤهله لاستحقاق رحمة ربّه.

يقول ربنا تعالى: [إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُم]
فالله انما خلق هذا الكائن المتميز بالعقل و الفطرة و الاختيار، و اودع فيه طاقات عظيمة لكي يتكامل في الحياة الدنيا فتشمله رحمة ربّه في الآخرة وينتقل الى عالم لا يوصف اذ لا عين رأت و لا إذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.
و السبيل الى التكامل هو باستخراج الطاقات المودعة فيه وبناء نفسه بما يتناسب مع الهدف الذي خلقه ربّه، فيكون سعيداً في دنياه و آخرته.
وتماماً كما في زراعة الارض يجب على الانسان ان يبذر البذور، و يسقي الزرع ويتعهد زرعه حتى ينمو، و يثمر، كذلك فيما يرتبط بنفسه و شخصيته.
لقد اعطانا الله كل ما نحتاج اليه للنمو و التكامل و التطور ويبقى علينا ان نستفيد مما اعطانا الله و نبني أنفسنا، لأنّ الله تعالى لن ينوب عنّا في ذلك كما أنّه لا ينوب عن احد في فلاحة الارض و زراعتها.
فبناء الشخصية كاحياء الارض مهمة الانسان نفسه.
و السؤال هنا هو على اي منهج ؟
و ما هي خارطة الطريق؟
و من اين نبدأ ؟ و كيف نبدأ؟
إنّ هذا الكتاب الجميل لمؤلفه سماحة السيد صادق المدرسي يتكفّل بتوضيح ذلك.
ولقد طالعت شطراً منه، فوجدته رائعاً في أسلوبه، موفقاً في طروحاته، عميقاً في معانيه حيث استرشد مؤلّفه بكتاب الله تعالى

و سنة النبي و اهل بيته سلام الله عليهم .

أرجو لمؤلفه التوفيق و للمؤمنين حسن الاستفادة منه و الحمد لله رب العالمين.

هادي المدرسي

الباب الاول

منهج بناء الشخصية

1. سفينة النجاة
2. خارطة البناء

الفصل الأوّل: سفينه النجاة

حينما يقع المرء في بحر هائج، و تحيط به امواجه المتلاطمة.
يُراءىٰ البحر بمنظر انيق لكن حقيقته الهلاك و الفناء، ماءه لا يَروي و كلما ازداد شرب المرء منه ازداد عطشاً له.
لا يمكن للانسان ان يستقر فيه و احواله متغيره من هدوء وسكون الىٰ عاصفة وطوفان منهما الىٰ السكون مرة اخرىٰ، فيا تُرىٰ كيف يستطيع أن يواجه ذلك؟ وهل سينجو الىٰ شاطئ الامن ام يأمن الامواج لتهلكه؟
تلك هي صفة الدنيا التي نعيش فيها لأنّ الدنيا بحر عميق غرق فيها عالم كثير كما جاء في الرواية عن الامام الكاظم عليه السلام[1].
فامواج الهوىٰ و الغفلة من جهة و وساوس الشيطان من جهة اخرىٰ تحيط بالانسان فالدنيا دار مليئة بالمصائب طارقة بالفجائع و النوائب محفوفة بالمحن و الآفات.
منظرها حلوة نظرة ولكن مخبرها الشقاء حفّت بالشهوات وراقت

---

١ يَا هشَامُ إنَّ لُقْمَانَ قَالَ لابْنه تَوَاضَعْ للْحَقِّ تَكُنْ أَعْقَلَ النَّاس وَ إنَّ الْكَيِّسَ لَدَىٰ الْحَقِّ يَسيرٌ يَا بُنَيَّ إنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَميقٌ قَدْ غَرقَ فيهَا عَالَمٌ كَثيرٌ الكافي (ط - الإسلامية) / ج١ / ١٦ / كتاب العقل و الجهل ص : ١٠

بالقليل وتحلت بالآمال يونق منظرها ويوبق مخبرها.

لا يشبع طالبها حتىٰ لو ملك الارض رمىٰ ببصره الىٰ السماء ليحاول استملاكها وكذلك فالدنيا دار ممر وليس فيها مستقر أولستم ترون اهل الدنيا يمسون و يصبحون علىٰ أحوال شتىٰ فميت يُبكىٰ وحي يُعّزىٰ وصريع مُبتلىٰ وعائد يَعود و آخر بنفسه يَجود وطالب للدنيا و الموت يَطلبه وغافل ليس بمغفول عنه.

«الا تَرون أنّها كيوم مضى وشهر انقضى فما أقربها من الذهاب.»[١]

اما احوال الدنيا فمتغيرة كتغير البحر فهي سريعة التحول كثيرة التنقل شديدة الغدر دائمة المَكر فأحوالها تتزلزل و نعيمها يتبدل ورخاؤها يتنقص ولذاتها تتنغص لا تبقىٰ علىٰ حالة ولا تخلو من استحالة فكم من ذي عزيز جعلته حقيراً و كم من قوي اردته ضعيفاً و كم من غني صار فقيرا[٢].

تلك هي الدنيا التي نعيش فيها لو نظرنا اليها بعين البصيرة، وخصوصاً اننا نعيش في عصر تشتد فيه الهجمات الثقافية و الفكرية، وفي عصر اصبح الاستغناء بالحلال عن غيره عسيراً، و في عصر كثرت فيه الاغراءات و تجاوزت كل الحدود،ومهما يكن فتلك هي الدنيا في

---

١ من حكم امير المؤمنين (غرر الحكم ص١٣١)

٢ ينقل لنا التاريخ قصص كثيرة عن اولئك الذين تغيرت احوالهم من حال الىٰ حال.

فينقل أنّه وُلد ليحيىٰ البرمكي مولود فاقام الولائم و دعىٰ الشعراء لذلك وصرف الكثير من الاموال للاحتفاء بمولوده الصغير، وشاءت الاقدار ان تسوء احوال البرامكة بعد ان كانت لهم النفوذ في السلطة العباسية فتفرقوا و قتّلوا فروىٰ احد الشعراء انه كان يوماً في الحمام و الدلاك يدلك ظهره و اذا به تذكر ما قاله في شأن ابن يحيىٰ البرمكي فقرأه ..لكنه تفاجأ من ان قرأه حتىٰ اغمي علىٰ الدلاك و حين افاق سأله باستغرابٍ عن ذلك فاجابه انه هو ابن يحيىٰ البرمكي الذي قال عنه ذلك الشعر،قد صيرته الدنيا دلاكاً بعد ان كان في قصور الامراء.

كل عصر ومصر فيا ترىٰ ما الخلاص؟
يبقىٰ سبيل الخلاص من هذا البحر الغزير الذي سيوصلنا الىٰ شاطئ الامان في سفينة النجاة من ركبها نجىٰ و من تخلف عنها غرق و هوىٰ..فهل سنركبها؟؟
انها سفينة اهل البيت (عليهم السلام) فقد قال عنهم رسول الله و سيد الانام محمد (صلىٰ الله عليه و اله): «**إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ**»[1].
وفي الحديث الشريف قال رسول الله (ص) : «**اعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ، وَ قَدْ غَرِقَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَ أَنَّ سَفِينَةَ نَجَاتِهَا آلُ مُحَمَّدٍ: عَلِيٌّ هَذَا وَ وَلَدَاهُ اللَّذَانِ رَأَيْتُمُوهُمَا سَيَكُونَانِ- وَ سَائِرُ أَفَاضِلِ أَهْلِي فَمَنْ رَكِبَ هَذِهِ السَّفِينَةَ نَجَا، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ.**[2]»
أيغرق من يملك سفينة النجاة؟ أم هل يهلك من عنده نبع الحياة؟ أو هل يتيه في طخية عمياء من لديه نور معارف السماء؟ هلمّ لنركب سفينة النجاة .
حين تكثر التيارات الفكرية و الثقافية و تزداد الادعاءات و تلمّع الاسماء أصبح من الضرورة أن نعود الىٰ رحاب الوحي وذلك لا يكون الّا حين يصوغ المرء شخصيته وفق هدىٰ الوحي.
فلا يشرّق بفكره و لا يغرّب بثقافته و لا يبحث في السراب عن الماء ولا في الظلام عن الضياء و انما يصوغ شخصيته بصياغة الوحي ويهتدي بائمة الهدىٰ لينجو من الردىٰ.
ومما لا ريب فيه ان الاسلام ليس بدين الحلال و الحرام او بيان الاحكام

١ بحار الأنوار (ط - بيروت) / ج٢٣ / ١٢٠
٢ التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ص : ٤٣١

فحسب، وانّما هو دين الحياة ايضاً، و الذي يبحث عن التكامل الحقيقي انّما يجد ذلك في القرآن الكريم وهدىٰ العترة الطاهرة و لعمري أية شخصية نبغي الوصول اليها و هل يضاهىٰ بابناء الرسول (ص) أحد بل واصحابهم واين الثرىٰ والثريا، وإذ لا نصل الىٰ درجة المعصوم فلنقتدي بهم و باصحابهم البرّرة و هذا لا يعني -كما سيأتي بيانه- العيش في الكهوف و سدّ منافذ التطور و التقدم المادي ولكنّ ذلك هو التقدم الحقيقي و تلك هي الحضارة المنشودة و من يبني شخصيته علىٰ اطار الدين و التأصل و استيعاب الفكرة الحضارية فلا ضير بانفتاحه علىٰ العلم و الاستفادة من معطيات العلم الحديث و هذا هو الخط القويم الذي نبني شخصيتنا علىٰ اساسه.

و هذا الكراس الذي بين يديك هو محاولة متواضعة في بيان بعض الاضاءات من دُرر العترة الطاهرة (عليهم السلام) في بناء شخصية مؤمنة مواكبة للعصر و ماهو الّا قطرات من المحيط المترامي الاطراف راجين من المولىٰ الكريم ان يتقبله باحسن القبول.

الفصل الثاني: خارطة البناء

كما مهندس البناء، او مدير الاعمال، او الخبراء او العلماء يضعون قبل البدء بالعمل خريطة الطريق، كذلك الذي يريد بناء ذاته فهو بحاجة الى تلك الخارطة ايضاً،لأنّ شخصية الانسان تتكون من مجموعة أمور معقدّة تشكّل بمجموعها هذه الشخصية و من المهم ان نتعرف–ولو اجمالاً– على تلك العناصر لأن ذلك بمثابة وضع حجر الاساس لبناء الشخصية.

وها نحن نبدء ببيان ذلك فتأمل.

عندك بيتاً في داخلك يكتنفه الظلام الحالك ذلك الظلام الذي قد يوقعك في متاهات و صعوبات وفي ذات الوقت تملك مصباحاً لا تحتاج سوى الى الارادة لاستخدامه و تحتاج الى كشف الحُجُب التي تمنع وصول النور،ذلك مثل الانسان.

يملك نفساً بالسوء امّارة ومحيط مظلم وفتن يعيشها كل يوم لا يعي فيها طريق الصواب فهو إذ يعيش ذلك لكنّه يملك نوراً الهياً خلقه قبل الخلق و اقسم بعزته و جلاله انه ما خلق خلقاً اعظم منه و هو نور العقل و مثل ذلك النور (العقل) في القلب كمثل السراج في البيت.[١]

١ جاء في الحديث الشريف ١ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) « أَنَّ النَّبِيَّ ص سُئِلَ مِمَّا خَلَقَ

جاء في الحديث: «**أَلَا وَ مَثَلُ الْعَقْلِ فِي الْقَلْبِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ**»[١].

فهو نورٌ يُميّز الانسان به الحق عن الباطل و به يتميز عن الخلائق، وهو المحور الذي يسموا به الانسان كلما استضاء به ليرتقى سلّم الكمال.

ولا يحتاج الى استخدامه سوى الى الارادة التي هي أهم عنصر في الانسان ولأن حقيقته الظلمانية فلا يحتاج المرء اذا ما فضّل الظلام الى ارادة حقيقية و انما استخدام النور هو ما يحتاج الى ارادة.

فالعقل نور الهي وهبه لكل انسان ولا يحتاج مستخدمه الّا الى الارادة لذلك من هنا يختلف الناس ويتفاضلون بمدى استخدامهم لذلك النور و اذ ان العقل معصوم من الخطأ يخطأ من لا يستخدمه و من تحيط افكاره النفسانية به فيعيش ابداً في وحل الظلمانية المهلكة.

و النفس[٢] تكون ابداً الوسيط بين العقل و الواقع و هي مصدر كل شر و جذر كل خطأ جاء في الحديث الشريف عن رسول الله (ص): «**اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**»[٣].

و من هنا يعمل الانسان كثير من الرذائل مع علمه بقبحها لأن

اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ الْعَقْلَ قَالَ خَلْقُهُ مَلَكٌ لَهُ رُءُوسٌ بِعَدَدِ الْخَلَائِقِ مَنْ خُلِقَ وَ مَنْ يُخْلَقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ لِكُلِّ رَأْسٍ وَجْهٌ وَ لِكُلِّ آدَمِيٍّ رَأْسٌ مِنْ رُءُوسِ الْعَقْلِ وَ اسْمُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِ ذَلِكَ الرَّأْسِ مَكْتُوبٌ وَ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ سِتْرٌ مُلْقًى لَا يُكْشَفُ ذَلِكَ السِّتْرُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ حَتَّى يُولَدَ هَذَا الْمَوْلُودُ وَ يَبْلُغَ حَدَّ الرِّجَالِ أَوْ حَدَّ النِّسَاءِ فَإِذَا بَلَغَ كُشِفَ ذَلِكَ السِّتْرُ فَيَقَعُ فِي قَلْبِ هَذَا الْإِنْسَانِ نُورٌ فَيَفْهَمُ الْفَرِيضَةَ وَ السُّنَّةَ وَ الْجَيِّدَ وَ الرَّدِيَّ أَلَا وَ مَثَلُ الْعَقْلِ فِي الْقَلْبِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ.» علل الشرائع / ج١ / ٩٨ /

١ علل الشرائع / ج١ / ٩٨

٢ و نعني عند اطلاق –النفس– هوى النفس وليس بمعنى الذات .

٣ بحار الانوار ج٦٧ ص٦٤

النفس تزين الواقع حسب الهوىٰ و المصالح.

يقول ربنا تعالىٰ: «**وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**» (النازعات/ ٤٠-٤١)

و تبقىٰ ارادة الانسان التي بها يُغلّب الانسان جانب الخير او الشر، العقل او النفس، الهوىٰ او الهدىٰ يقول الحديث الشريف[١]: «**ان للقلب اذنين روح الايمان يُسّاره بالخير و الشيطان يُسّاره بالشرّ فأيهما ظهر على صاحبه غلب**[٢]».

و هذان النداءان يشعر بهما كل فرد عندما يريد القدوم علىٰ العمل الصالح او الطالح حيث يدفعه نداء و يمنعه الاخر.

يقول امير المؤمنين: «**أقرب الآراء من النّهى أبعدها عن الهوى.**[٣]»

ويقول عليه السلام: «**ضادّوا الهوى بالعقل**[٤].»

وعنه عليه السلام انه قال: «**الْهَوَى عَدُوُّ الْعَقْلِ.**[٥]»

ولكن ذلك لا يعني أن علىٰ الانسان مخالفة كل فكرة كان مصدرها النفس لأنّ في بعض الاحيان قد تتوافق الفكرتان فالانسان الجائع، يرشده عقله و ايضاً تشتهي نفسه الاكل وفي النهاية تتحد الفكرتان، انما علىٰ الانسان ان يحذر من نوازع نفسه و ان يصونها بطاعة الله بمعنىٰ ان ينظر بما تأمره به نفسه فان كان قد وافق رضا الله يعمل به والّا

---

١ فِيِ الحديث الشريف عن امير المؤمنين: «الْعَقْلُ صَاحِبُ جَيْشِ الرَّحْمَنِ وَ الْهَوَىٰ قَائِدُ جَيْشِ الشَّيْطَانِ وَ النَّفْسُ مُتَجَاذِبَةٌ بَيْنَهُمَا فَأَيُّهُمَا غَلَبَ كَانَتْ فِي حَيِّزِهِ».

٢ وسائل الشيعة ج٢٠ص٣١٣

٣ غرر الحكم ص١٩٤

٤ غرر الحكم ص٤٢٦

٥ غرر الحكم ص٢٧

فيدعه يقول الحديث الشريف : «**رحم الله امرء قمع نوازع نفسه إلى الهوى فصانها و قادها إلى طاعة الله بعنانها**[١]».

واذا ما عرف الانسان عدوه -اي النفس- فليحذر عن ما يصدر منها من افكار[٢].

يقول الله تبارك و تعالى في حديث قدسي : «**وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ ارْتِفَاعِي فِي عُلُوِّي لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ إِلَّا جَعَلْتُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَ هَمَّهُ فِي آخِرَتِهِ وَ كَفَفْتُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَ ضَمَّنْتُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ رِزْقَهُ وَ كُنْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِ وَ أَتَتْهُ الدُّنْيَا وَ هِيَ رَاغِمَةٌ وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ ارْتِفَاعِي فِي عُلُوِّ مَكَانِي لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَاهُ عَلَى هَوَايَ إِلَّا قَطَعْتُ رَجَاءَهُ وَ لَمْ أَرْزُقْهُ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَّرْتُ لَهُ**[٣]».

ثم ان كل ذلك ليس بمعزل عن عقيدة الانسان التي تؤثر فيه بشكل مباشر لتشكل قيمه و ثقافته، و لا سلوك للانسان لولا تلك الثقافة و نعني بالقيم مجموعة الصفات السلوكية العقائدية الاخلاقية التي توجه السلوك وهي التي تصنع نسيج الشخصية و تطبعها بطابعها كالايمان و التقوى و الحق و الحرية و الصدق، فبالبداهة يعرف الانسان الفرق الكبير بين شخصيتين مختلفتين في العقيدة فكل عقيدة -سليمة كانت ام لم تكن- تنتج قيماً تصوغ هذه الشخصية.

فمن لا يؤمن بقيمة الصدق لا يمكنه ان يعمل به و ايمانه بهذه القيمة انما جاء من الايمان بالله و بالدين الالهي وان كان للعقل السابقية في

---

١ غرر الحكم ص٣٧٤

٢ يقول الحديث الشريف: « فاز من استصبح بنور الهدىٰ و خالف دواعي الهوىٰ و جعل الأيمان عدّة معاده و التّقوىٰ ذخره و زاده». غرر الحكم ص٤٧٨

٣ الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام / ٣٥٩ / ٩٦

الاهمية لدوره في معرفة العقيدة السلمية لكن العقل بدوره لا يفكر الّا علىٰ قاعدة العقيدة[1].

الخلاصة : ان مكونات عديدة تشكل شخصية الانسان و هو ما سيكون مدار بحثنا في هذا الكتاب حيث نبدأ بالبحث عن الارادة ثم عن العقيدة يتبع ذلك الكلام عن العقل و التفكير و خصصنا الفصل الاخير عن تجلّي العقل علىٰ واقع الانسان وذلك بالتدبير.

١ لا ضير ان هناك مكونات اخرىٰ كالوراثة و التربية و البيئة و انما اهملنا ذكرها لاقتصار البحث علىٰ ما للانسان ارادة مباشرة فيه.

الباب الثاني

خطوات في بناء الشخصية

١. إرادة التغيير
٢. العقيدة
٣. خارطة التفكير الرسالي
٤. التدبير

الفصل الاول: ارادة التغيير

يغفل الانسان احياناً عن بعض الحقائق لبداهتها فهي واضحة كالشمس في أفق السماء ولكن وبسبب عيش الانسان معها فانه يغفل عنها، و منها الارادة.

نعمة عظيمة قد خُصّ بها الانسان دون سائر الكائنات فهو يفعل ما يُريد باختياره ولكن غيره من الموجودات فلا ارادة لهم مسيرون في افعلاهم، فكل يسبح بحمد ربه مسيراً في ذلك ولكن لا نفقه تسبيحهم.

اما ابناء آدم فقد اعطاهم ربهم نعمة الاختيار في الدنيا ليكسبوا بها نعيم الجنان في الآخرة وذلك بالسير وفق ما رسمه الله لهم و ابتغاء مرضاة ربهم و تمثل العبودية لخالقهم بمطلق ارادتهم وبالتالي ربح الدنيا و الآخرة ولكنهم قد يختارو غير ذلك فيشتروا آخرتهم بدنياهم او بدنيا غيرهم ليكونوا من الخاسرين يقول ربنا تعالى:

«مَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في‏ حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ

الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيب» (الشورى/ ٢٠)

و من هنا كانت الارداة هي الفيصل بين اصحاب الجنة وغيرهم وكما هي الفيصل بين الفاشلين في الحياة و الناجحين فالعظماء ما كانو كذلك دون ارادة للعظمة و من هنا كان الحديث عن الارادة في غاية الاهمية في بناء الشخصية.

لنعترف بحقيقة هامة بأننا جميعاً لم نصل بعد الى درجة الكمال و ما دمنا غير معصومين فذلك يعني اننا بحاجة مستمرة الى التغيير نحو الافضل و الى قلع الفساد و تنمية الروح الايمانية كما و علينا تنمية الارادة لتحقيق النجاح المنشود ولكن مشكلة البشر انه يظن دائماً انه قد وصل الى الكمال و لا يشعر بأية حاجة للتغيير وبالتالي يغلق نوافذ الهداية عن نفسه فلا يهتدي ابداً يقول ربنا تعالى: «**الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**». (الكهف/ ١٠٤)

فلنراجع انفسنا وننظر بموضوعية و نتساءل عن مدى سيرنا في الصراط القويم و هل نسير لتحقيق اهدافنا الاخروية فضلاً عن الدنيوية و اذ لا ضمان لسلامة مسيرنا وصحة سلوكنا مائة بالمائة فلنحاول ان نغير انفسنا نحو الافضل ،السنا نبحث عن السعادة ؟ و

تكفيك الارادة عن اية صفة اخرى للبناء الشخصية، ولا تكفي اي صفة اخرى لبناء الشخصية عن الارادة.

النجاح ؟ والتكامل ؟ فكل ذلك لا يكون الّا بامتلاك الارادة رصينة.

لا نحقق الأعمال بالتمنيات.. إنما بالإرادة نصنع المعجزات

بين الارادة و التمني:

كثيرون اولئك الذين يتمنون ان تكون لهم شخصية رصينة ولكن قليل منهم من يريده بالفعل وفرق شاسع بين الارادة و التمني، إذ الاخير يعني الرغبة في تحقيق شيء دون الاول الذي يعني الغاء جميع الخيارات الاخرىٰ فلو تمنىٰ الانسان مثلاً وهو جالس في بيته ان يذهب الىٰ مكان فلا يتحقق ذلك الّا بعد الغاء جميع الخيارات الاخرىٰ و التوجه نحو الهدف.

فالناس جميعاً يحملون امنيات في حياتهم فلا احد يحب الفشل او العيش التعيس أو لا يريد امتلاك شخصية متكاملة و انما الفرق ان الناس غالباً يتمنون ذلك ولا يريدوه بل انهم يتمنون النجاح و يريدون الفشل بمعنىٰ انهم يسيرون في اتجاه الفشل والّا فلو أراد اي انسان الوصول الىٰ اي هدف معقول فما رام امرئ شيئاً الّا ناله او ما دونه.

يقول سماحة آية الله السيد هادي المدرسي ماهو اهم شيء في الحياة؟ قالو هو العلم و قالو هو العقل و قالوا غير ذلك ولكن اهم شيء هو الارادة لأن بالارادة يستحصل العلم و بالارادة يستحصل العقل و بالارادة يستحصل العقل.

تنمية الارادة:

كما الذي يذهب الى بناء الاجسام و يتدرب لتقوية عضلاته كذلك الارادة ينميها الانسان بالتدريب.

فلا يمتلك الانسان ارادة رصينة بين عشية و ضحاها وانما يكون ذلك بالتدريب المستمر وذلك عبر مخالفة النفس وبيان ذلك مايلي :

قد سبق القول بثنائية مصدر الفكر عند الانسان فالعقل و النفس يُنشئان الفكر لدى الانسان و مما ينبغي الاشارة اليه أنّ اتّباع الفكرة الناشئة من العقل و بسبب انّه نور الهي خارج النفس و مختلف عنها أصعب مما يصدر من النفس، لأن الانسان يميل عادة الى الراحة و السكون و اللذة و الشهوة.

فعلى سبيل المثال لو قام امرئ من نومه لصلاة فريضة فما تدعوه نفسه أن يخلد الى النوم مرة اخرى ولكن عقله يأمره باداء الصلاة.. او لو هُيئ له ظرفُ يُشبع غريزته فعقله يمنعه و نفسه تدفعه و اختيار جانب العقل يكون دائماً اصعب من غيره و من هنا كلما اتبع الانسان عقله بارادته كلما نمت الارادة و كلما ركن الى النفس كانت النتيجة عكسية.

أترى صعود الرواسي الشامخات اصعب ام الهبوط منها، وهكذا لا تحتاج الى الارادة لو كنت تريد البقاء على ما انت عليه، انّما تحتاجها ان اردت التغيير و التعالي و التكامل، فالارادة تنموا إذن بالتدريب على مخالفة النفس شريطة أن لا يخرج عن اطار حدود الشريعة، فلو جلست على مائدة طعام و انت جائع فهل بامكانك الامتناع عن التهام الطعام لفترة وجيزة..واذا غلبك النوم فهل تستطيع مغالبته، و الاهم من ذلك فهل تستطيع مخالفة هواك حين هيجان الشهوة؟

فتغض بصرك عمّا حرّم الله، و تصون لسانك عمّا نهى لله، و تُغلق منافذ سمعك عن الحرام، وهكذا.

وهذا هو الطريق فبالارادة تستحصل الارادة.

التوكل على الله

مسكين ابن آدم تؤلمه البقة و تفنيه الغرقة وتقتله الشرقه، و البلايا تحوطه و المنايا ترتقبه، وهو يظن انّه يقهر بقوته الدنيا، و الحقيقة أن الانسان لو اعتمد على ذاته و ما يملكه من قدرات فهو الى الهلاك أقرب و من وثق بنفسه خانته و قدرات الانسان لم تزل محدودة ولكنّما الصحيح أن الانسان حين يوقن أنّ لهذا الكون رباً قادراً جعل سنن و انظمة ثابتة في الكون تسيره و حين يؤمن أنّ الرب لم تغل يده حين خلق الكون -كما قال اليهود- فهو يستمد منه القوة و العزيمة و عليه يتوكل فهو مصدر كل قوة فلا حول ولا قوة الّا به وهو القوي العزيز وقد قال الله سبحانه و تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (الأنفال/ ٢)

وفي الحديث الشريف: **«أصل قوّة القلب التّوكّل على الله»**[١]

و هكذا فمن يتوكل على الله سبحانه وتعالى يستغني عن كل مخلوق سواه وفي الحديث: **«من توكّل على الله غني عن عباده[٢]»**

و من هنا يلتجأ الانسان بربه عزوجل في مواجهة النفس و شهواتها

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ١٩٨ / ٢٥٦ ..... ص : ١٩٨

٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٦٠٥ / ٦٠٩ ..... ص : ٦٠٥

و ابليس و وساوسه والناس و امكارهم و الدنيا وبلاياها فعلىٰ سبيل المثال نقرأ في الدعاء:

«و أعني على نفسي بما تعين به الصالحين على انفسهم[1]»

و ايضاً قوله سبحانه و تعالىٰ:

«وَ قُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ» (المؤمنون/ ۹۷-۹۸) و هكذا يستمد الانسان القوة و العزيمة و ينمي ارادته بالدعاء و الالتجاء الىٰ الله سبحانه و تعالىٰ.

---

۱ الكافي ج۲ص۵۸٦

الفصل الثاني: العقيدة

لو قيل لك يوماً عن كتاب بلا مؤلف، أو بناء دون بنّاء، أو كون دون مكوّن فهل تعقل ذلك؟

لا شك أنّ الشعور الفطري عند كل انسان هو الايمان ببطلان ذلك فنفي الكاتب يعني نفي الكتاب و مادام الانسان يعترف بالبناء عليه البحث عن بنّاء و في النهاية مادام الانسان عرف انه موجود فلابد ان يؤمن بأنّ له موجِد[١].

تلك هي البداية و هكذا «**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ**[٢]»

إذ أنّ الانسان بمعرفة خالقه و باعترافه بعجزه وفقره يخطو الخطوة الاولى في تصحيح مسيره.

و الذي يسعى من أجل بناء شخصيته عليه أن يُصحّح عقيدته و

---

١ للتفصيل راجع كتاب (الف باء الاسلام ج١) لسماحة آية الله السيد هادي المدرسي(دام ظله)

٢ بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج‏٤ ؛ ص٢٤٧

ينقيها حيث أنّها تُساهم مساهمة فعّالة في بناء شخصية الانسان و إقامة أهم دعائمها و بدون هذا المنهج يعيش الانسان في تيه وضلال وتشتت و شقاوة لا توصف وليس في عالم المعتقدات عقيدة كعقيدة التوحيد – الايمان بالله– من حيث سعتها و شمولها و انطباقها على كل موقف وسلوك انساني.

حتى لتسلك هذه العقيدة (الايمان بالله) كرائد يخطط للانسان طريق السير، وقائد يتقدم المسيرة و محور تدور عليه كل نشاطات الانسان.

و من جهة اخرى حين يؤمن الانسان باسماء الرب سبحانه وتعالى يتجلى ذلك في شخصيته بصورة مباشرة فحين يؤمن بالرحمة كاسم من اسماء الله تكون الرحمة قيمة سامية يحاول تجسيدها و تطبيقها على واقع شخصيته.

ولا يستطيع الانسان تطبيق احكام الشريعة دون أن يُصلح الصلة بالله سبحانه و هكذا كان اول الدين معرفة الله و كلما زاد الانسان معرفة زاد فقهاً وعلماً و إذا كانت العبادات فاتحة ابواب الفقه فان العلاقة بين العبد و ربه العظيم هي روح العبادات فهي الصلاة و هي هدف الصيام و غاية الحج و من أعظم حِكم الزكاة و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و التولي و التبري[1].

الدين حاجة نفسية

يستحيل ان يبقى انسان دون عقيدة، ففي داخله احساس عميق وشعور بافتقاره للقيم و اذ يتخلّى البعض عن الدين الالهي الصحيح

[1] التشريع الاسلامي ج٤ ص١١

فانّه يملأ فراغه بعقيدة اخرىٰ الا ترىٰ كيف اعتقد الشيوعيون بافكار ماركس و لينين؟ أو الشعب الصيني كيف اعتقد ان ماوستي ستونغ ابن الاله! هذا عن الشرق اما الغرب فانظر كيف جعلوا المادة الهة يعبدونها،أو انظر الىٰ حركات الهيبية والخنفسه وعبادة الشيطان و ما اشبه.

اما في السابق فحدث ولا حرج، كيف عبدوا الاصنام،الطبيعة،النهر والشمس و القمر.

كل ذلك لأنهم يستشعرون بفراغ نفسي مثلهم مثل المنهوم يلتهم الطعام دون التفكير فيه فهم يتمسكون بالقيم دون التفكير في نوعها جيدة كانت ام رديئه.

و إذ يعيش كثير من الشباب اليوم الامراض النفسية كالاكتئاب و القلق و غير ذلك فإنّ منشأها فراغ الروح الذي يعيشونه، فهذه الاحصائيات تتحدث عن اكبر نسبة للانتحار في سنة ٢٠١١ في دولة سويسرا المرفهة مالياً، و ها هي حالات الانتحار تكثر بين الاغنياء و المشاهير[١].

و المليارات التي تُصرف في العالم يومياً لاستخدام المهدئات و

---

١ تقدر نسب الانتحار طبقًا للبيانات المقدمة من منظمة الصحة العالمية في السنوات الأولىٰ للألفية الجديدة في العالم الغربي، بحالة انتحار واحدة في كل ١٠ آلاف حالة في اليوم الواحد، فيما تذكر إحصائيات أخرىٰ أن نحو مليون شخص في العالم ينتحرون سنويًا، أي بما يعادل حالة انتحار كل ٣٠ ثانية.

ووفق ذات الإحصائية للمنظمة الدولية، ولكن علىٰ مدىٰ العامين الأخيرين، فإن معدلات الانتحار أصبحت ترتفع بنسبة ٦٠٪ بجميع أنحاء العالم، كما ذكرت المنظمة أن نحو ٣ آلاف شخص يقدمون علىٰ الانتحار يوميًا، الأمر الذي يعني ارتفاع الظاهرة في السنوات الأولىٰ للألفية الثالثة، إلىٰ أن تضاعفت في العقد الثاني من الألفية ذاتها.

الحبوب.

كل ذلك لأنّ العالم يعيش في فراغ روحي، ولأنه تناسى القيم و المبادئ، لأنّه ترك الدين و راح يلهث وراء المادة.

و في المقابل ترى أناس يستشعرون السعادة الحقيقية لارتباطهم بالله عزّوجل لأنهم خرجوا من وحل المادة فهاهم عباد الله الصالحين من الانبياء والصديقين و الائمة الطاهرين و من يحذو حذوهم من العلماء و المؤمنين يعيشون في سعادة لا يستشعرها غيرهم رغم صعوبة حياتهم الظاهرية احياناً.

و اذ يؤمن الانسان بعقيدة التوحيد تتحول العقيدة الى منهج للحياة تدخل في كل حقل من الحقول وبالتالي منهجاً لسلوك الانسان وذلك عبر محورين سنتكلم عنهما بشيء من التفصيل اولاهما استشعار البعودية و الثاني هو تطبيق القيم الربّانية.

العبودية منطلقاً

تصور نفسك عبداً يباع و يشترى في سوق النخاسين يملكك مولى جليل القدر كريم الخصال عظيم الطبائع فكم ستحاول ارضاءه وكم تسعى في عدم سخطه و يزداد سعيك لطاعته و حذرك من معصيته كلما ارتفع شأناً ومقاماً كل ذلك في إطار المخلوق فما بالك بالخالق العظيم، لا من شيء خلقنا و بنعمته رزقنا وبفضله كسانا و بمنّه حفظنا وآوانا ويسبغ علينا نعمه ظاهرة و باطنة.

لو عرفنا خالقنا لاحببناه و اطعناه، و بالمقابل لو عرفنا طبيعة وجودنا في الحياة وكيف اننا في غاية العجز و الضعف و ان كل ما عندنا هو

من انعم الله عزوجل علينا لاخلصنا في العبادة. اذا مافكر الانسان في كل ذلك سيصل الىٰ العلاقة الصحيحة في التعامل مع خالقه وهي العبودية حيث قوله سبحانه: «**و ما خلقت الجن و الانس الّا ليعبدون**» (الذاريات/ ٥٦).

فهل انا حقاً عبد لله؟

لا تعني العبودية لله مجرد الركوع و السجود فكم هم الذين ينحنون امام الله وهم في الواقع يعبدون الشيطان؟

ان العبادة التي يريدها منّا خالقنا تعني الخضوع المطلق له في كل شيء ابتداءً من العقيدة ، و انتهاء بالسلوك و العمل و النظام و العبادة

و عبودية الله تعني نفي عبادة غيره بمعنىٰ خروج الانسان من عبادة الذات وهوىٰ النفس و من عبادة المادة و زخارفها و ابليس ووساوسه و غير ذلك الىٰ رحاب التوحيد النقي يقول ربنا تعالىٰ: «**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكيلا**» (الفرقان/ ٤٣).

من هنا كان علىٰ الانسان ان ينقي عقيدته من الشرك ويقيم وجهه خالصاً لله الذي فطر السموات و الارض.

العبودية تعني أن لا يعصي العبد مولاه[١] ، ومن هنا يقول الامام

---

١ وفي هذا السياق يروىٰ أن الامام الكاظم عليه السلام كان ماراً ذات يوم من امام منزل لشخص يقال له ابو نصر الذي لقّب فيما بعد ببشر الحافي حيث كان كبير الشأن من اغنىٰ الاغنياء و كان قماراً خماراً زماراً ولا يتورع عن فعل المنكرات والمحرمات.
كان الامام ماراً وكانت أصوات اللهو و الطرب تملأ المكان فصادف أن فتحت جارية باب الدار لألقاء بعض الفضلات وحين رمت بها في الطريق سألها الامام؟ هل صاحب هذه الدار حر ام عبد؟
فأجابته الجارية وهي مستغربة سؤاله هذا بشر رجل معروف بين الناس وقالت: بل هو حر!
فقال صدقتي لو كان عبداً لخاف من مولاه، قال الامام هذه الكلمة و انصرف فعادت الجارية الىٰ الدار و كان بشر جالساً الىٰ مائدة الخمر فسألها ماالذي ابطأك؟فنقلت له ما دار بينها و

الصادق عليه السلام في وصفه للعبودية «**أن يكون جملة اشتغاله فيما امره الله تعالى به و نهاه**[١]»

العبودية تعني أن يعلم المرء حين ينظر الى أنعم الله عليه أنّها ليست ملكه وإنّما هي ملك لخالقه ليس فقط المال و الجاه و المسكن وانما حتى اعضاء الجسد كلها امانة، و هكذا يقول الامام الصادق (ع) حين سئل عن العبودية قال:«**ثلاثة اشياء أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكا لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به**»[٢].

العبودية تعني : ان يلتزم العبد بكل ما أُمر به فلا يتعدى ذلك من تلقاء نفسه ، فلو امره المولى ان يقصّر صلاته في السفر لا يصح له البقاء على التمام، او كالذي يحتمل مرضاً قد نهاه الشرع عن الصيام الّا انه يجهد نفسه و يُضر بدنه.

وقد جاء في الحديث عن النبي (ص) كان يقول: «**إن الله يغضب من لا يقبل رخصه**[٣]»

وعن ابي عبد الله (ع) انه قال :«**لا تكرهو الى انفسكم العبادة**[٤]»

بين الامام صدقت لو كان عبداً لخاف من مولاه اهتز هزاً عنيفاً ايقظته من غفلته و من نومة الغافلين.
ثم سأل بشر الجارية عن الوجهة التي توجه اليها الامام فأخبرته و انطلق يعدو خلفه حتى نسي ان ينتعل حذاءه وفعلاً ذهب الى منزل الامام فتاب على يده واعتذر وبكى ثم هوى على يدي الامام يقبلها و قال سيدي اريد من هذه اللحظة ان اكون عبداً لله.

١ (مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، النص، ص: ٣٢٧)

٢ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغةج١٩ ص٣٤٠

٣ مستدرك الوسائل ج١ ص ٢١٣)

٤ الكافي ج٢ ص٨٦

انما المطلوب ان يسير الانسان على وفق هدى الرب و بصائر الوحي فيلتزم بما امره الله و نهاه من دون زيادة ولا نقصان[١].

القيم طريق الكمال

تفكر في نفسك ثم انظر الى ما حولك من الطبيعة، ماذا ترى؟

أفلا تجد كل شيء -في مملكة ذاتك كما في آفاق العالم- قد نظّم تنظيماً حسناً. فابتداءً من الذرة المتناهية في الضآلة وانتهاءً بالمجرة التي تحتوي على ملايين الشموس، لا تجد شيئاً من خلق الله إلاّ وقد قدّر الله له سنّة حكيمة. و الايمان بتلك السُنن يستتبع ايماناً بالقيم الالهية التي ينبغي لكل فرد التحلي بها لأن مصدر القيم هي العقيدة[٢] التي ان طرأت عليها شوائب سينتج منها قيماً فاسدة[٣].

ولأن القيم تشكل الخلفية الثقافية عند الانسان لذلك كان لها التأثير الكبير على السلوك الانساني و توجيهه و تغيير القيمة كفيل بتغيير كثير من السلوكيات عند الانسان.

على سبيل المثال الذي يقدس المادة في حياته تتحول المادة عنده قيمة وثقافة تؤثر في مواقفه العملية وايمان الانسان بقيمة الصدق سيتبعه سلوك عملي يتسم بالصدق و هكذا.

---

١ قد ورد أن جماعة من الصحابة كانوا قد حرموا على انفسهم النساء و الافطار بالنهار و النوم بالليل فأخبرت ام سلمة رسول الله (ص) فخرج الى أصحابه فقال أترغبون عن النساء ؟ إني آتي النساء و أكل بالنهار و أنام بالليل فمن رغب عن سنتي فليس مني وسائل الشيعة ج٢ ص٢١ حديث٩

٢ بخلاف مدارس اخرى رأت بان مصدر القيم هو الانسان نفسه او المجتمع .

٣ اذا صح ان نطلق عليها قيماً و ان تسامحاً.

و كما ان جسد الانسان يتألف من مجموعة مختلفة من المواد ، فكذلك روحه ونفسه تتكونان من منظومة واسعة من القيم، وكما ان المواد المفيدة والمغذية تجعل جسد الانسان سوياً ومعافى، كذلك القيم، فحينما تكون سليمة سوية فان نتائجها ستكون ايجابية على صعيد بناء شخصية الانسان ونفسه وثقافته وبالتالي على سلوكه.

و جوهر المشكلة التي يعيشها المسلمون اليوم و يعاني منها الشباب بالخصوص أنّ القيم تغيرت بل و تغير مصدرها فبدل أن يكون مصدر القيم عند الانسان المسلم هو القرآن الكريم و الروايات الشريفة التي بينت لنا المنظومة القيمية الكاملة وبالتالي ما رسمه الله للانسان اصبح المجتمع يصوغ قيماً تكون مقدسة و اخرى غير ذات قيمة و اصبح المسلمون يستوردون القيم من الشرق و الغرب و يؤمنون بها دون التفحص عن مدى موافقتها للدين.

ومن هنا كان من الضرورة بمكان أن نبحث القيم لأننا نعتقد جازمين بأن العقيدة الاسلامية الكاملة التي جاء بها الرسول الاكرم (ص) قد جاءت لنا بقيم ينبغي على من يريد بناء شخصيته ان يغرسها في نفسه و يتربى على اساسها و بالتالي علينا العودة الى النبع الصافي انبثاقاً من العقيدة من أجل تغيير جذري يبدأ من المعتقد و ينتهي بالسلوك، وذلك سبيلنا للتقدم فعلى سبيل المثال لو حمل الناس قيمة العمل و كيف يؤكد الدين على ان يعمل الانسان باخلاص لبناء وطنه و الكد على عياله لما كنا على ما نحن عليه من تلكؤ في اداء المشاريع و تباطئ عمل المؤسسات الحكومية و غيرها .. ام لو حمل المجتمع قيمة الوفاء بالعهد و الالتزام بالمواعيد وصدق الكلام و ما شابه من القيم

لسرنا نحو التطور.

تصور انك تملك حقلاً ينبت فيه الزرع الطيب كما ينبت الخبيث الذي لا يخرج الّا نكدا و ما عليك الّا قلع الخبيث و تضعيفه وتجذير الطيب و تنميته وهكذا القيم فعلى الانسان الاقلاع عن القيم الفاسدة و تطهير بيته الداخلي منها و تخلية روحه من أدرانها كما عليه ان يجذر في ذاته تلك القيم الايمانية التي يسمو بها و يتعالى فذلك ضمان سلوكه السوي اذ ان للقيم انعكاساته الجلية على سلوك الانسان و ها نحن نستعرض بعض تلك القيم بايجاز.

الايمان ينبوع القيم

الايمان هو ينبوع سائر القيم الالهية ، وجذر شجرة سائر القيم والاحكام والشرائع، ورُبّ سائل يقول: كيف يستطيع الانسان ان ينمّي ويزيد من ايمانه بالله عز وجل ؟ وكيف تتوهج حقيقة الايمان في القلب حتى تتجسد في صورة قيم مثلى؟ وأخلاق سامية تقود حياة الانسان الى حيث يريد الله، و الجواب أنّ الايمان رغم انّه الاساس ولكنّ له روافد ايضاً و دعائم لا يستقيم دونها بل لا يمكن الفصل بينه و بينها و من هنا بني الايمان على اربع شعب على الصبر و اليقين و العدل و الجهاد.

اولاً: الصبر رأس الايمان

لو جيء لك بكأس لذيذ بمنظر شهي و رائحة عطرة ولكنه مطعم بالسم القاتل فهل تشربه؟ ام ان من العقل ان تجنب نفسك اياه اذ ان فيه لذة قصيرة يعقبها شقاء وعناء طويل؟

فصبر على اللذة وصبر على الطاعة[١].

لو كان تحملك للمشاق لساعة يعقبه راحه وسعادة وفوز و جنان، فهل تجزع ام اللبيب من يتحمل ساعة لتعقبها الراحة الدائمة.

و الدنيا ساعة فلنجعلها طاعة ،فلو نظرنا الى الحياة بهذا المنظار والغينا -بقوة الخيال- حاجز الزمن بيننا وبين الآخرة سنملك قيمة هامة وهي الصبر واذا كان للايمان رأس وللفضيلة عنوان و للمكارم دليل وللجنان طريق وعن النيران وقاء فهو الصبر وهكذا ورد في الحديث الشريف:

«الصبر من الايمان كالرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد، و اذا ذهب الصبر ذهب الايمان»[٢].

حقيقة الصبر هو الغاء الزمن الذي يفصل بينك و بين الحقائق الواقعة في المستقبل فالشوق الى الجنة صبر، و الشفقة من النار صبر، و الزهد في الدنيا العاجلة و الرغبة في الحياة الآخرة صبر، و ترقب الموت الذي تدخل منه الى رحاب الحياة الابدية صبر.

ولأن الايمان هو التسليم للغيب الذي من ابرز مصاديقه هو الاخرة فلا يكون ذلك التسليم الّا بالصبر و هكذا على المؤمن أن يستحضر في وعيه الحقائق التي تأتي مستقبلاً فيزداد شوقاً الى ثواب الله و شفقة من عذابه، و زهداً في دنيا تفنى، و ترقباً لحياة تبقى. و بذلك ترتفع الحجب

---

١ يروى ان النبي عيسى (ع) التقى براهب كان يعبد الله على جبل فسأله عن حاله.. فاجابه الراهب بأنه قد قيل له انه لا يعيش في هذه الحياة سوى سبعمائة عام فصمم على ان يعبد الله فيها..فقال له النبي عيسى(ع) فمابالك بقوم يأتون في آخر الزمان ويعمر الواحد منهم سبعين سنة ويظن انه مخلد في الدنيا؟ فاجابه الراهب، اما لو لحقتهم لأفنيت عمري في سجدة واحدة!

٢ بحار الانوار ج٦٨ ص ٨١

التي تستر عنه آيات الحق و هكذا يبلغ درجات من الايمان السامية و ويصبح كما يريد الله سبحانه، فهو يصبر عند المصائب والترهيب كما و يصبر على اغراء الدنيا.

ثانياً: اليقين اصل الايمان

لو ايقنت بوجود اخطار تحدق بك، فهلّا تأخذ حذرك منها فكيف و انت في دنيا محفوفة بالمكاره؟

ولو ايقنت انك تسير الى الهلاك، فهلّا توقفت عن المسير فكيف ومطيتك في المسير تعاقب الليل و النهار؟

ولو ايقنت بوجود نعيم ابدي، هلّا سعيت الحصول عليه فكيف وهي جنة الخُلد التي وُعد المتقون نعيمها مقيم و خيرها عميم.

و لو ايقنت بوجود شقاء ابدي، هلّا تجنبته فكيف وهي النار **غَمْرٌ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٌ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٌ أُمُورُهَا. سَاطِعٌ لَهَبُهَا مُتَأَجِّجٌ سَعِيرُهَا مُتَخَوِّفٌ وَعِيدُهَا.**

بعد أن ترتفع عن العين حجب المادة، وشهوات الدنيا وضغوط الحياة العاجلة تنفتح في بصيرة الانسان نافذة وسيعة على الغيب، وهنا الغيب ليس مجرد وعي المستقبل. بل تبصرة حقائق الاشياء التي غلّفتها المادة الثقيلة.

واليقين هو تلك النافذة فما هي اركان اليقين وعوامله وانما كان دعامة من دعائم الايمان لأنه وصول الى عمق الحقائق و الاذعان لما وراء الشهود مما يغير من سلوك الانسان.

اما ترى لو قال لك الطبيب بضرر يصيبك من غذاء معين فستتركه لتنجب الضرر المحتمل فكيف بانبياء الله تعالى حين قالو بالحساب و

الميزان ، وان الاعمال السيئة تسبب ضرر بل وشقاء ابدي للانسان ، فيقين المرء بهذه الحقيقة يتبعه اتخاذ موقف عملي و تغيير لديه.

وفي الحديث الشريف: «**الإيمان شجرة أصلها اليقين و فرعها التقى و نورها الحياء و ثمرها السخاء**[1]»

ثالثاً: العدل تجلّي الايمان

انظر أنىٰ شئت و سر في رحاب الطبيعة فلن تجد الّا العدل الذي يسير عليه الكون لأن الَرب العادل هو الذي خلقه وسيره و من يخالف سنة الله في الحياة سيؤول الى الهلاك لامحال.

و المهم ان ينعكس العدل علىٰ شخصية الانسان ليصبح قيمة اساسية و ليكون من دعائم الايمان و روافده والعدل في حياة الانسان هو ان يصوغ حياته علىٰ ضوء الأوامر الالهية فيعطي كل جانب من حياته، وكل بعد من ابعاد وجوده حقه، فلا يظلم نفسه فمن يتعد حدود الله و من افترىٰ علىٰ الله الكذب و من يعص الله ورسوله فاولئك هم الظالمون و من يتخذ من دون الله انداداً فقد ظلم نفسه وهكذا يبدأ العدل في اطار شخصي اولاً ثم يتدرج بتجنب ظلم الناس من حوله وقد نهىٰ الله سبحانه و تعالىٰ البغي و العدوان علىٰ الآخرين.

رابعاً: الجهاد عز الايمان

واذا اكتملت حقائق الايمان في سلوك الفرد في العبادات (الصبر) وفي شؤون الحياة (اليقين) وفي المجتمع (العدل) حينئذ يأتي دور الدفاع عن ايمانه بالجهاد.

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٩٥ / ١٨١١ ..... ص : ٩٥

واذا ما صار قلب الانسان منوراً بنور الايمان فسينتج عن ذلك مجموعة من القيم السامية التي نذكر بعضاً منها على سبيل الايجاز .

الايمان روح في القلب يبعث الانسان نحو التسليم للحق ، انه وقر في النفس يتجلى في العمل الصالح ، انه كلمة التقوى تتجلى في التقيد بحدود الله سبحانه ، و انه الرسوخ في العلم عندما يتجلى في التسليم النفسي للحق و الاذعان به»سماحة المرجع المدرسي (دام ظله)» .

خامساً: الحق محور الايمان

و الحق محور الايمان ، حيث ان الايمان لا يتجزء بين حق و آخر و ان ادعاء الايمان باطل لمن لم يتسع ايمانه لكل حق، لأن الايمان الحق هو الخروج من سجن الذات الى رحاب الحق و من معيارية الهوى الى معيارية الحق و الهدى.

و هكذا نعرف ان الحق هو أصل القيم ومحور الايمان و انه من عند الله و ان الحق هو محتوى كتاب الله و رسالات الانبياء.

سادساً: التسليم قاعدة الايمان

و التسليم قاعدة الايمان فلولا التسليم للحق تسليماً قلبياً و عملياً كيف تكتمل حقيقة الايمان في النفس؟ و التسليم هو لله اولاً و لمن أمر من الانبياء و الرسل و أوصيائهم ومن سار على خطاهم من العلماء الربانيين اخيراً.

و هنا تكمن مشكلة بعض الشباب المعاصر اذ انه يظن باكتمال مداركه حيث ما من حُكم او رواية الّا يتصوّر أنه لابد أن يعرف علة ايجادها والّا فسيردها، فان كانت رواية قال بضعفها دون علم وان كانت آية أوّلها حسب هواه، و العجب العجاب من اولئك الشباب

انهم يسلمون لقول بعض الغربيين و يبثوه دون برهان ودليل.

فنقول لمّا كان عقل الانسان محدوداً ، فأي محاولة تجاوز حدوده فهي محكومة بالخطأ سلفاً فنحن لا نشك بوجود حكمة لكل حُكم ولكن قد يقصر فهمنا عن معرفتها فلا يعني أن نردها بل أنّ علينا التسليم، فلو استشرت طبيباً فوصف لك دواءً معيناً فمن العقل أن تأخذ بما يرشدك به وكذا العقل يرشدنا الىٰ التسليم لهدىٰ الدين وبصائر الوحي.

و لذلك كانت قيمة التسليم من القيم المهمة التي ينبغي ان نغرسها في نفوسنا وقد جاء في الحديث عن امير المؤمنين (ع)«**الدين شجرة أصلها التّسليم و الرّضا**» [١]

و هكذا كان غاية الاسلام التسليم وغاية التسليم الفوز بدار النعيم.

سابعاً: التقوى لباس الايمان

أفلا يتزود الإنسان لاسفاره الدنيوية؟ فهلّا تزود لسفر الآخرة وهو اطول و أوحش من اسفار الدنيا ، و أفضل ما نتزود به: التقوىٰ و الالتزام بما أوجبه اللّه علينا، إنه الزاد الوحيد الذي ينفعنا في ذلك الطريق الطويل الطويل.. يقول ربنا تعالىٰ: «**وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ**» (البقرة/ ١٩٧)

والتقوىٰ لباس الايمان و مظهره و ان الايمان هو روح التقوىٰ اذ ان الانسان حين يواجه المعصية فما يدعوه لتنجب تلك المعصية هو التقوىٰ، فيصون جوارحه من ذلك العمل وقد جاء في الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ تقوى اللّه عمارة الدّين و عماد اليقين و**

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٦٧ / ١٣٠٢ ..... ص : ٦٧

إنّها لمفتاح صلاح و مصباح نجاح[١]»

وعنه عليه السلام: « **أَلَا وَ إِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ وَ أَفْضَلَ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ وَ أَفْضَلَ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ**[٢]».

ثامناً:الصدق حلية الايمان

عن امير المؤمنين انه قال: «**الصدق جمال الإنسان و حلية الإيمان**[٣]».

عندما تنعكس قيمة الصدق على شخصية الانسان فذلك يعني تغيير جذري في سلوكياته العملية اعم من الاقوال و الافعال ذلك لأن الصدق يحوي بمعناه الشامل كل الدين و من هنا جاء في الحديث« **رَأْسُ الْإِيمَانِ الصِّدْقُ**»[٤] . وذلك بأن يبدأ الانسان بالصدق مع ربه فلا يكون كلامه في الصلاة يناقض واقعه فحين يقول مثلاً –الله اكبر– عليه أن لا يخشى أو يرجوا أحداً من دون الله وحين يُعاهد الله أن لا يعود الى الذنوب عليه أن يسعى بجد من أجل ذلك الهدف.

ثمّ يتدرج في الصدق مع نفسه فلا يعيش التبرير و حالة الخداع المستمر للذات و ينتهي الى الصدق مع الناس بافعاله و اقواله لهم،

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٢٤١ / ٢٤٧ ..... ص : ٢٤١

٢ تصنيف غرر الحكم و درر الكلم / ٣٦٩ / الفصل الخامس مدح الغنى ..... ص : ٣٦٩

٣ عيون الحكم و المواعظ (لليثي) / ٦٥ / الفصل الأول مما أوله الألف و اللام ..... ص : ١٧

٤ عيون الحكم و المواعظ (لليثي) / ٢٦٣ / الفصل الثاني بلفظ رأس ..... ص : ٢٦٣

«و يروى أن رجلا أتى رسول الله ص فقال يا رسول الله علمني خلقا يجمع لي خير الدنيا و الآخرة فقال لا تكذب قال الرجل و كنت على حالة يكرهها الله فتركتها خوفا أن يسألني سائل عنها عملت كذا و كذا فأفتضح أو أكذب فأكون قد خالفت رسول الله ص فيما حملني عليه».

و كما أنّ الكذب مفتاح كل شر فان الصدق هو محتوىٰ لكل فضيلة ورأس للايمان.

تاسعاً: الشكر نصف الايمان

جاء في الحديث الشريف:«**الايمان نصفان؛ نصف صبر و نصف شكر**»[١].

لكل نعمة حقاً من الشكر، ابتداءاً من شيء بسيط يقدمه المخلوق و انتهاءاً بكل ما اعطاك الخالق، فهو الذي لا من شيء خلقني وبنعمته رزقتني وكساني وبفضله البسني و آواني وحفظني وكلاني مذ كنت صغيراً رباني والىٰ الصراط هداني واسبغ عليّ نعمه ظاهرة وباطنه.

انه ربي احسن خلقي، فهلّا اؤدي شكر أنعمه و أنّىٰ لي ذلك «اذ لو عمرت مدىٰ الاعصار علىٰ ان اؤدي شكر واحدة من انعمه ما استطعت لذلك سبيلاً الّا بمنّه الموجب عليّ شكراً آنفاً جديداً وثناءً طارفاً عتيدا بل لَوْ حَرَصْتُ وَ الْعَادُّونَ مِنْ أَنَامه أَنْ نُحْصيَ مَدَىٰ إِنْعَامه سَالِفَةً وَ آنِفَةً لَمَا حَصَرْنَاهُ عَدَداً وَ لَا أَحْصَيْنَاهُ أَبَداً وهوَ الذي يقول في كتابه «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحيمٌ»»[٢]

و هكذا كان علىٰ الانسان كمخلوق ان يشكر الله كخالق وذلك بأن يتحول الشكر الىٰ ثقافة عامة تبدأ من الشكر القلبي: اذ يتعرف الانسان ماذا انعم الله عليه؟ فحين يستيقظ في الصباح ليعلم ان كثيرين كان نومهم دون استيقاظ..فيحمد الله الذي ارقده في مهاد امنه وامانه و ايقظه الىٰ ما منحه من مننه واحسانه.

---

١ شرح فارسىٰ شهاب الأخبار/ متن / ٥٨ /

٢ مقطع من دعاء الامام الحسين يوم عرفة .

و اذ يُبصر النعم من حوله يتبصر الى نعمة العين التي لا تعد ابداًو ينظر تارة الى المساكين واخرى الى اليتامى ونظرة ثالثة الى المرضى واخيرة الى المقابر ليعي انعماً عنده سُلبت من امثاله و قد تسلب منه ايضاً ومن هنا يبتدئ شُكر المنعم بمعرفة النعم الالهية على الانسان و انها ليست استحقاقه و انما هي فضل من الله عليه[١].

شكر اللسان: قد لا يتصور الانسان أنّ حركة لسانه قد تهوي به في مكان سحيق وقد ترفعه الى اعلى عليين، فما أن يقول كلمة الّا و ينبت له نخلاً في الجنة وقد يقول اخرى يخرج بها من الدين، و الشكر بعد بدءه في القلب يتحول الى اللسان ليكون المُظهر له و قد كان رسول الله دوماً يلهج بحمد الله فكان – فيما يقوله الرواة– اذا اصبح يقول «**الحمد لله كثيراً على كل حال**» يردد ذلك ثلاثمئة وستين مرة واذا امسى قال مثل ذلك[٢].

شكر الجوارح: ليس الشكر ان تعرف النعمة و تعترف بالمنعم

---

١ تقول بعض الاحصائيات:
اذا كان لديك بيت يؤويك، و مكان تنام فيه، و طعام في بيتك، ولباس على جسمك، فأنت أغنى من ٧٥٪ من سكان العالم
و اذا كان لديك مال في جيبك، و استطعت أن توفر شيئاً منه لوقت الشدة فأنت واحد ممن يشكلون ٨٪ من اغنياء العالم
و اذا كنت قد أصبحت في عافية هذا اليوم فأنت في نعمة عظيمة.. فهناك مليون انسان في العالم لن يستطيعوا أن يعيشوا لأكثر من اسبوع بسبب مرضهم.
واذا لم تتجرع خطر الحروب، ولم تذق طعم وحدة السجن، ولم تتعرض لروعة التعذيب.. فأنت أفضل من ٥٠٠ مليون انسان على سطح الأرض.
و اذا كنت تصلي في المسجد دون خوف من التنكيل أو التعذيب او الاعتقال او الموت، فأنت في نعمة لا يعرفها ثلاثة مليارات من البشر و اذا قرأت هذه الاحصائية فانت في نعمة لأنك افضل من مليارين من البشر الذين لا يحسنون القراءة في هذه الدنيا.

٢ اصول الكافي ج٢ص٤٨٩

فحسب بل يتعدىٰ الى العمل الذي يرضي المنعم ليعيش في اطار اوامر المنعم و نواهيه و يطبقها فذلك حقيقة الشكر حيث يقول ربنا تعالىٰ : «**اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**» (السبأ/ ١٣).

وهكذا يتحول الشكر الى ثقافة عامّة في الحياة ينقلب حال حاملها عن غيره[١] واذا كان للجسد غذاء ينمو به فان غذاء الروح هو شكر المنعم.

عاشراً:الذكر نور الايمان

ما اجمل ان يعيش المرء دائماً في ذكر الله تعالىٰ بقلبه و لسانه، فيسمي الله اذا اراد الاكل ويحمد الذي سخر له وسيلة النقل ان اراد ركوبها ويحمد الله ان حصل علىٰ نعمة و يقول ان مرّ بذي عاهة :الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به ولو شاء لفعل.

او جنازة فيقول الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم، ويعني ذكر الله ان يكون الانسان حاسّا وشاعرا بهيمنة الله عليه، واحاطته به، وانّه ليس بعيدا عن مقام ربّه.

و من هنا قد يلهج اللسان بالذكر حين يكون القلب لاهياً وغافلاً فذلك لا يعبر عن شيء وهكذا ينبغي ان يكون ذكر الله في المعصية كما يكون في الطاعة[٢] وفي الشدة كما الرخاء و الصحة كما السقم و الراحة كما التعب.

---

١ جاء الى سماحة المرجع المدرسي دام ظله ذات يوم شخص قد اصيب بمرض الاكتئاب فنصحه السيد المرجع بأن يكتب في كل يوم ثلاثين نعمة من نعم الله عليه شريطة أن يكتب في الغد غيرها.
و بعد فترة من الاستمرار علىٰ هذا العمل جاء الرجل الى سماحة المرجع يشكره و يقول أنّه قد تبدلت حالته تماماً حين رأىٰ نعم الله عليه و استشعرها وفطنها.

٢ في رحاب الايمان ص٦

وقد جاء في الحديث الشريف: «**ذكر الله نور الإيمان**»[١] وفي الحديث ايضاً يقول امير المؤمنين (ع) : «**ذكر الله دعامة الإيمان و عصمة من الشيطان**[٢]».

حادي عشر:الدعاء تكامل الايمان

في دوامة الايام و تزاحم الضغوط على الانسان، يبقى الامل الاخير الذي يتغلب به الانسان على ضغوط الحياة و يسمو في رحاب الايمان، ذلك هوالدعاء، فرغم ضغوط النفس و شهواتها و الشيطان و ابالسته و رغم انتشار الفساد و الرذيلة، يبقى الدعاء هو الامل الذي ينقي الانسان و يربطه بربه الكريم يقول عز من قائل: «**وَ إذا سَأَلَكَ عِبادي عَنِّي فَإِنِّي قَريبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجيبُوا لي وَ لْيُؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**» (البقرة/ ١٨٦)

و حينما نقول الدعاء لا نقصد تلك القراءة السطحية له، وانماذلك الذي يحاكي اعماق الروح و يزكيه من براثن الشرك و الشك و النفاق.

و حينما يدعو الانسان ربه العظيم فإنّ هذا النداء يمثل ارتباط الانسان الضعيف بالرب القوي العزيز، و دعاء العبد الفقير للمولى الجليل واتصال المملوك الفاني بالمالك الباقي، وهكذا تكون هذه اللحظات عظيمة ان تجاوزت لقلقة اللسان الى اعماق الانسان.

ولا يخفى ما لهذا الدعاء من الآثار العظيمة على شخصية الداعي، و من هنا كان الجدير بالاهتمام اختيار الانسان لما يدعو به سواء ما

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٣٦٩ / ٣ ..... ص : ٣٦٩
٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٣٧٠ / ١٤ ..... ص : ٣٧٠

يتصل بالمحتوى او الالفاظ و الآداب، فالطفل الصغير لايدعو الا للحصول على مزيد من الالعاب ليتسلّى بها، و المريض يدعو لشفاءه و الفقير يدعو لغناه، والكاسب يدعو لزيادة رزقه، وهكذا يكون مدار اهتمام كل شخص بما تدور عليه حياته وهو امر طبيعي، ولكن ليس هو الغاية الاسمى في الحياة، فهناك من يسمو دعاءهم من هذه الدنيا الفانية فيطلبون لا كما يطلب الآخرون و يدعون لغايات فضلى و هو مما ينعكس على الحياة العملية .

نعم؛ ان الدعاء هو ما يزكي النفوس و يطهرها وهو معراج للروح ومنهاج للحياة و وسيلة يبني الانسان شخصيته على اساسه، وقد روي عن الامام الرضا عليه السلام عن آبائه (عليهم السلام) عن رسولنا الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «**الدعاء سلاح المؤمن، و عماد الدين، و نور السموات و الارض**[1]»

فما يواجهه الانسان في الحياة من ضعف نفسه او نواقص الطبيعة من حوله او خوفه من عذاب الله يملك في المقابل سلاحاً يتغلب به على كل ما يواجهه و ذلك هو سلاح الدعاء لأنه ارتباط بالله القوي العزيز الذي يجيب دعوة من دعاه من عباده و هكذا فالذي يريد بناء شخصيته او يطمح بهدف مقدس فليدعو ربه ويلتجأ اليه و يبذل كل ما بوسعه، فالدعاء لا يكون بديلاً عن العمل و انما مكملاً له.

---

١ بحار الانوار ج٩٠ باب فضل الدعاء و الحث عليه .

الفصل الثالث:خارطة التفكير الرسالي

فكر ثم فكر

قد يسير الانسان في حياته سنوات مديدة ثم بقليل من التفكير ينتبه الى خطأ مسيره فيصححه أليس القليل من التفكير افضل من تلك السنوات، التي قضاها بعيداً عن التفكيرو التأمل في حياته وهكذا فالتفكير الواعي دائماً يوصل الانسان الى الحقيقة عن أبي العباس عن أبي عبد الله (ع) قال:«**تفكر ساعة خير من عبادة سنة، قال الله:{إنما يتذكر أولوا الألباب}**»[١].

يقول الامام الحسن بن عليّ عليهالسلام:«**اوصيكم بتقوى الله و ادامة التفكّر فانّ التفكّر ابو كلّ خير و امّه**»[٢].

و هكذا يفترق الناس عن بعضهم بمنهجية التفكر فهي التي تحدد عادة مستقبل الحياة وهي التي تبنى عليها الثقافة و السلوك، و الشخصية التي تفقد التفكيرالسليم ولا تسعى لبناءه فانّها تفقد

---

١ تفسير العياشي / ج٢ / ٢٠٨ / [سورة الرعد(١٣): آية ١٩] ..... ص : ٢٠٧

٢ تنبيه الخواطر و نزهة النواظر مجموعه ورّام ج١ ص٥٢

القاعدة التي تستند عليها و تنطلق منها و لا يمكنها أن تتكيف مع العالم المتطور وأن تلحق بركب القطار الحضاري هذا فضلاً عن أنّ مثل هذه الشخصية تفقد الموازين التي ينبغي ان تصل بها الى الدين القويم .

وقد جاء الوحي ليأكد اهمية التفكير و يحث عليه في اكثر من آية و من خلال محاور عدة منها: التفكير في النفس و آياتها و الآفاق و آياته من الدقة التي خلقت بها اصغر ذرة بل و اكبر مجرّة و التشابه بينهما في الخلقة كل هذا يدعو الى التفكير مما يوصلنا الى معرفة الرب و اسماءه الحسنى و السنن الكونية و سائر المعارف الاخرى قال تعالى :

« **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَا خَلَقَ اللـه السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى** » (الروم/ ٨).

و يتدرج بالتفكير ليعرف صدق الانبياء عليهم السلام قال تعالى:

«**اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِين**» (الأعراف/ ١٨٤).

فمن يأتي بالمعجزات و يدعوهم الى النجاة دون أن يسأل بذلك أجراً فضلاً عن كونه معروف عندهم بالصدق والامانة كل هذا بالتفكير السليم النقي من الاهواء سيهديهم الى صدق الرسول (ص) .و المؤمنون يصلون بتفكرهم الى عدم عبثية الخلق قال تعالى:
«**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» (آل عمران/ ١٩١).

ان فكرهم وذكرهم قادهم الى انّ لهذا الخلق العظيم هدف أعظم

يخاف ويرجىٰ، نارٌ يخاف أن يكوىٰ بها جباههم و ظهورهم و جنة يُرجىٰ نعيمها المقيم ويدعون من ربهم أن يقيهم شر ذلك اليوم.

ثم بالعودة الىٰ واقعنا المتخلف وبنظرة موضوعية نجد أنّ السبب الرئيس في الكثير من السلوكيات الخاطئة هي الفكرة الخاطئة و ما دام منهج تفكيرنا بعيد عن ديننا نبقىٰ متخلفين و انّما تطور الغرب حين غيّروا منهج تفكيرهم و تخلّصوا من رواسب فسلفة الاغريق فصار ذلك التقدم المادي عندهم بما فيه من نواقص.

و يزداد الامر خطورة في الكلام عن بُعد شخصية الانسان فهو القاعدة و المستند و لا يخلو المرء إمّا أن يكون مفكراً او مقلداً و في واقعنا فلا قيمة للاخير بتاتاً.

فمنهج التفكير هو اهم ما ينبغي علىٰ الانسان الساعي نحو بناء شخصيته ان يغيره فمن القواعد الصحيحة للهندسة النفسية قولهم (غير فكرك تتغير حياتك) فكثيراً ما يفكر الشاب ان نجاحه يكمن في هجر مجتمعه و يلعن محيطه الف مرّة كما و يذمّ زمانه الذي يعيش فيه فيربط نجاحه بتغير الظروف او المكان او الزمان وكثيراً ما سمعتُ كلمة الظروف من الناس و الحقيقة ان الانسان الناجح يصنع الظروف امّا الفاشلون في الحياة فتصنعهم الظروف، و لو غيّر الانسان فكره لتغيرت حياته.

الذين لا يستطيعون تغيير

عقولهم ..

لا يستطيعون تغيير

أي شيء !!

لأن في ذهن كل انسان افكار خاطئة تكبّله و تعطل طاقاته فاذا ما استبدلها الانسان استطاع تغيير واقعه وقد قال الله سبحانه و تعالىٰ: «**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**» (الرعد/ ١١)

و تغيير النفس لا يتم الّا بتغير منهج التفكير عند الانسان و مع الاسف ولصعوبة التفكير فان معظم الناس قد يفضلّون عملاً بدنيا شاقاً لفترة طويلة علىٰ التفكير لدقائق معدودة، يقول امير المؤمنين عليه السلام:«**فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة**»[١]

ويقول عليه السلام:«**شاور قبل أن تعزم و فكّر قبل أن تقدم**»[٢].

و التفكير الذي يوصلنا الىٰ معرفة الله هو ذاته الذي يعرفنا بصدق الرسول (ص) و ذات التفكير الذي يثبت لنا اصول الدين هو الذي يقوم لنا السير في الحياة و يُرشدنا الىٰ التدبير الصحيح وبالتالي يسموا بنا الىٰ النجاح سواء علىٰ الصعيد الشخصي او علىٰ الصعيد العام، ولكي لا يكون هذا البحث نظرياً صرفاً قد قسمنا البحث الىٰ قسمين فالاول عن منهجية التفكير و العوامل المساعدة له و اما الثاني فتجلي ذلك علىٰ شخصية الانسان و علىٰ الواقع بالتدبير.

منهج التفكير

كل الناس يفكرون، ولكن تختلف افكارهم بين الافكار الحقيرة و

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٤٨١ / ١٠ ..... ص : ٤٨١

٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٤١٣ / ١ ..... ص : ٤١٣

الخطيرة.

و منهم من يفكر بالعاجل فلا يكاد يتعدىٰ تفكيره يومه و منهم من يخترق بفكره اعماق المستقبل فيعي الآجل، و منهم من يفكر في الشرّ و المعصية و منهم من يفكر في الخير و الطاعة، بعضهم يفكر في اللهو و اللعب و آخرون: «**ويتَفَكَّرُونَ في خَلْق السَّماواتِ وَ الْأَرْض رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّار**» (آل عمران/ ١٩١).

فيختلفون في ذلك اختلافاً كبيراً و من الجدير بالذكر ان منهج التفكير هو الذي يحدد ملامح الفكر عند الانسان لأنّ هنالك مناهج عديدة وُضِعت للتفكير حيث انطلق كل مبدأ من منظاره الخاص ليضع منهجاً للتفكير، و نحن اذ لا ننفي ما لتلك المناهج من ايجابيات ولكن يجدر بنا كمسلمين الرجوع الىٰ المنهج التفكير الاسلامي.

لأنّ منهج الاسلام هو الأشمل و الأكمل حيث فجّر الإسلام قدرات الانسان الهائلة، وأعطاه إمكانات حضارية كبيرة، كانت الحضارة الإسلامية بعض مظاهرها! اذ ما كانت لتكون حضارة لولا وجود منهج سليم للتفكير وحين ننظر الىٰ التاريخ و الىٰ ازدهار الحضارة الاسلامية التي امتدت حتىٰ اروبا نعرف ان ذلك اكبر دليل علىٰ وجود منهج للتفكير.

لقد جاء الإسلام ببصيرة جديدة للإنسان، ليس فقط في السلوك والتشريع، والطقوس والعبادات، وإنما قبل كل ذلك في التفكر والمعرفة، وكشف حقائق الحياة.

فلا نشك بوجود منهج متميّز للتفكير في الاسلام والدليل : ثقافة

المسلمين المتميزة، إضافة الى الآيات و الروايات التي ترشدنا إلى اسلوب تفكير خاص به. ونحن إذا أردنا إيجاد التفكير الصحيح لابد لنا الرجوع إلى الاسلام لنستلهم منه أساليب التفكير الصحيح و ذلك من خلال الثقلين.

و تبقى عقلية البشر محدودة رغم تقدمها في العلم و المعرفة و لذلك فهي معرضة للخطأ دائماً او هي بعض الحقيقة و علينا البحث عن منهج التفكير السليم في الدين و حين نعرفه سوف لا نقع في الاخطاء ان طبقناه بصورة صحيحة.

بماذا التفكير؟

من المهم معرفة حدود التفكير عند الانسان لكي لا يتعداها و الحقائق عند الانسان تنقسم الى اقسام منها ماهي واضحة وجلية و منكشفة امامه و منها ماهي مبهمة و خفية ولا يمكن للعقل البشري الوصول اليها ومنها الحقائق الواضحة التي يغفل عنها الانسان و منها الحقائق المجهولة و المبهمة التي يستطيع الانسان الوصول اليها عبر التفكر و امعان النظر.

امّا الاول فلا كلام فيه، و اما الثاني فمن الناس من يحاول التفكير فيه ولا يزيده التفكر الّا ضلالاً و بعداً عن الحق وقد جاء في الحديث الشريف: «**من تفكر في ذات الله سبحانه تزندق**»[1].

و اما الثالث فينبغي على الانسان ان يحاول دائماً كشف الحُجب عن

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٦١٩ / ٨٥١ ..... ص : ٦١٩

نفسه و ستتكلم لاحقاً عن ذلك ولكن الذي يهمنا هو القسم الرابع الذي يكون التفكر فيه.

و حين يتعدىٰ الانسان حدود عقله في التفكير فانه سيقع في الخطأ فمن اهم القدرات المودعة في العقل :قدرة الفكر و التفكر وهو اعمال العقل في المعلوم للوصول الىٰ معرفة المجهول، فاذا كان النظر والسمع يلتقطان علامات الحقيقة وآياتها واثارها، فان التفكر يقوم بتقليب المعلومات وعرضها علىٰ المعارف الفطرية، وتكميل بعضها ببعض[1].

فالانسان يمتلك العقل الذي هو الكاشف للحقائق و استعمال هذا النور يكون بالتفكر قال الامام الصّادق عليه‌السلام: «**و ذلك انّ القلب يفكّر بالعقل الّذي فيه**»[2].

و ليس العقل فقط هو ما يفكر به الانسان فقد يتوجه الانسان الىٰ شهواته النفسانية فيصبح حينئذ تفكر مذموم قال الامام الكاظم عليه‌السلام: «**يا هشام من سلّط ثلاثا على ثلاث فكأنّما أعان هواه على هدم عقله: .. من أظلم نور فكره بطول أمله**»[3].

فالذي يفكر بالشر مثلاً يكون تفكيره مذموماً وهنا يكمن الفرق بين التفكر و التعقل إذ الثاني لا يكون الّا ممدوحاً فهو الاستضاءه بنور العقل لمعرفة الحقائق بعكس الاول وقد عرفت ذلك.

وقد جاء في الاثر عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «قلت له: **ما**

---

١ علي علي آل موسىٰ، ثقافة الاسلام و ثقافة المسلمين ص١

٢ بحارالانوار ج٣ ص١٦٣، و بحارالانوار ج٦١ ص٥٨

٣ تحف العقول، ص: ٣٨٦

العقل؟ قال: **ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان.** قال: قلت: **فالذي كان في معاوية؟** قال: **تلك النكراء و تلك الشيطنة و هي شبيهة بالعقل و ليست بعقل**»[١].

لذا سنتطرق باختصار الى العقل و النفس ودور النفس في التفكير لاعطاء صورة اولية للقارئ الكريم عن منهج التفكير عند الاسلام.

أ- العقل آلة التفكير

بماذا نفكر ؟ اليس بالعقل ذلك المخلوق العظيم الذي قال عنه الباري (عزوجل) «**ما خلقت خلقاً اعظم منك ولا اطوع منك**»[٢].

ذلك النور الالهي الذي تعرف به الحقائق و تميز به الحق و الباطل و به تُميّز عن الخلائق فما هو العقل؟

يعرّف العقل لغة: مشتق من (عقله) بمعنى ربط وثاقه ليحفظه عن الإفلات .وبهذا المعنى يطلق العرب العقل على ما يحفظ الإنسان من موجبات الردى، اي انّ النفس الانسانية هي كاخبث الدواب التي ان لم يتحكم بها العقل تكون مصدر الشرور عند الانسان.

ويقابل العقل عادة بالجهل، والجنون، ويقصد بالأول، عدم القيام بما ينبغي القيام به لعدم معرفته أو لتغلب الشهوة.. ويقصد بالجنون وجود خلل في أعصاب الفرد مما يدعه غير قادر على العمل بما ينبغي. وفي بعض الأحيان نستعمل لفظة الإرادة للدلالة على

---

١ بحارالانوار ج١ ص١١٦ ح٨

٢ تحف العقول، النص، ص: ١٥

تلك الطاقة التي تجعلنا نقوم بما ينبغي لنا ان نقوم به، ونطلق على كشف ما ينبغي لنا أن نقوم به بالمعرفة والعلم[١].

فالعقل إذا هو ما يدلنا على القيام بالعمل الصالح، وجاء في تعريف العقل عن الإمام الصادق(ع): «**قال ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان**»[٢].

و ليس العقل ذاتياً في الانسان، انّما هو نور يعطيه الرب لمن يشاء ويسلبه في اي لحظة شاء.

فلو نظرت الى ما حولك ستجد أنّ الكثير من الحقائق مُبهمة لديك و حتى الحقائق المنكشفة فهي كانت لمدة مبهمة لديك و لو كان العقل ذاتياً لانكشفت كل الحقائق بعبارة اخرى لو لم تكن ثنائية بين العقل و النفس لم يكن ليبقى مُبهم عند الانسان.

ولو كان العقل ذاتياً لما فقده الانسان و الحال ان كثير من الناس يفقدون عقولهم حين الكبر يقول ربنا تعالى :

«**وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**»(النحل/ ٧٠).

فهو نور الهي وهبه الله للانسان لكي يتسامى به حين يتبعه و يسترشده و قد جاء في الحديث: «**مثل العقل في القلب كمثل السراج في البيت**»[٣].

---

١ مقتبس من كتاب المنطق الاسلامي لسماحة آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)

٢ المحاسن / ج١ / ١٩٥ / ١ باب العقل ..... ص : ١٩١

٣ بحار الانوار ج١ ص٩٠

و كما أنّ السراج يفترق عن البيت كذلك العقل ليس هو ذات الانسان.

كيف يعرف العقل؟

هل يعقل ان يعرف العقل بغير العقل؟ نحن نعرف الأشياء جميعا بعقولنا، والتي لو لم تكن سليمة لما عرفنا شيئا. فهل هناك شيء فوق العقل نتعرف على العقل به؟ ان الإنسان ليذهب بعيدا في متاهات الضلال لو بحث عن شيء فوق العقل، ليفهم العقل به، إذ لا وجود لهذا الشيء، وفي حالة وجوده، يحتاج الإنسان إلى شيء آخر، فوقه أيضا ليعرفه به، فهل يعقل هذا؟

ثم هل من المعقول أن يكشف العقل لنا حقائق الأشياء، ثم لا يكشف عن ذاته؟ أوليس هذا يشبه القول بأن الشمس تضيء الدنيا، ولكنها غير مضاءة؟ إذا فكيف تعطي الضوء وهي لا تملكه؟ وهذا معنى النور فهو الظاهر بنفسه و المظهر لغيره وان قلنا، كل شيء في العالم معروف بنور العقل ولكن العقل لا نور له، وإذا فهو غير معروف.

أليس هذا تناقضاً؟ ان أولئك الذين حاولوا التعرف على العقل بغير ذاته ضلوا عنه.

إذ لم يجدوا فيما وراء شمس العقول، الا الظلام والضلال.

بل ان مجرد محاولة التدليل على العقل نوع من التضليل الذاتي، اللهم إلا إذا حاولنا معرفة العقل، من خلال أنواره التي تسقط على

الأشياء، فتضيئها، وتكشفها لنا، بالضبط كما نتعرف على الشمس من خلال النور المنبعث منها في الفضاء.

وهذه المعرفة هي بدورها مرتبطة بالعقل، فمن لا عقل له لا يفهم من الحقيقة شيئا، ويكون أشبه شيء برجل يريد ان يبصر عينه، ليؤمن بوجودها، فيأخذ مرآة، وينظر من خلالها إلى عينه، فهل يعني هذا أنه رأى عينه بغير عينه؟ مثلا، رأى عينه بأنف أو بفم؟! كلا إنما رآها بعينه ذاتها ولكن من خلال المرآة. ولو افترضنا أن الرجل أغمض عينيه ليبصرهما بعضو آخر فيه، أفلا تكون النتيجة أنه يبقى يفتش عن عينه إلى الا بد؟

كذلك الذي يحاول ـ مستحيلا ـ ان يجد عقله بغير عقله، ويفتكر أنه يستغني عن عقله في رؤيته له.

وهذه بعض الدرر المستوحاة من أحاديث العترة الطاهرة عن العقل.

قال النبي (ص): «**العقل عقال من الجهل**»[1] .

و عنه (ص):« **قسم العقل الى ثلاثة اجزاء فمن كانت فيه كمل عقله ومن لم تكن فيه فلا عقل له :حسن المعرفة بالله عزوجل و حسن الطاعه له و حسن الصبر على امره**».[2]

وروي عن الامام الصادق (ع):«**كمال العقل في ثلاث التواضع لله**

١ بحار الانوار ج١ ص١٠٦
٢ المصدر

و حسن اليقين و الصمت الا من خير»[١].

و روي عنه (ع) قوله: «**اذا اردت ان تختبر عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن انكر فهو عاقل و ان صدقه فهو احمق**»[٢].

في الحديث الشريف: «**العقول ائمة الافكار و الافكار ائمة القلوب و القلوب ائمة الحواس و الحواس ائمة الاعضاء**»[٣].

ب: بين العقل والنفس

لا يكاد يبين عند الكثيرين ما لنفس الانسان من تأثير علىٰ تفكيره يتبعه عدم التمييز بين الافكار التي تصدرها النفس البشرية و تلك التي مصدرها العقل، و ما الثنائية التي يستشعرها كل انسان في حياته الّا دليل ذلك فشيء يجذبه للطاعة ويبعده عن المعصية و آخر يعمل عكس ذلك ولا يقتصر ذلك في عبادة الانسان فقط بل ان تلك الثنائية (بين العقل و الهوىٰ) في كل لحظات حياة الانسان لأن من المستحيل ان يعيش الانسان دون افكار و مصدرها لا تخلو اما ان تكون من العقل او من النفس.

وقد يغفل المرء و يسهو عن نور عقله بسبب تعاقب الليل و النهار و ضغوط الحياة عليه و لأنه يميل الىٰ السكون و عدم التغيير اذ ربما

---

١ المصدر، ص١٣١
٢ المصدر
٣ المصدر، ص١٦٠

التفكير يجرّه الى تغيير واقعه و لذلك كان السهو و الغفلة نقيضا التفكير ففي الحديث عن الامام الصادق (ع) عليه‌السلام قال:«**و التفكر و ضده السّهو**»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه‌السلام في خطبة الوسيلة «**الفكر تورث نورا و الغفلة ظلمة**»[2]. فكما أنّ على الانسان أن يصقل عقله و ينقيه من دفائنه و الحُجُب التي تحيط به كذلك عليه العمل و التدريب على كثرة التفكر اذ أنّ السهو و التفكر كلاهما بارادة الانسان فهو الذي يرجح احدهما على الاخرى.

ما دام الانسان يستضيء بنور عقله في فكره فذلك ضمان عدم الخطأ عنده ولكنه اذا تعدى عقله فلا ضمان له من الخطأ ذلك لأنّ النفس تسوّل الواقع بما تهواه و هكذا لو أحب المرء أن يعتقد بفكرة لمصلحة أو هوى في نفسه فلا يمكن أن تكون تلك الفكرة الا باطلة.

فمثلا: قد تهجم على شاشة النفس تصورات متفاوتة من واقع واحد، فيرى المرء أن جاره رجل طيب، ثم يرى في الوقت ذاته أنه شرير، ويرى أنّ القيام بأذاه قبيح ولكنه في ذات اللحظة يتراءى له انه عمل شريف و واجب. هنا تتداخل التصورات وتتوتر النفس، ويحتار الإنسان فمصدر تلك الافكار لا يمكن ان يكون عقل الانسان وانما النفس قد تحب شخصاً فتعمى عن معايبه وقد تكره آخر فتغمض عن محاسنه و لو فتشنا بصورة دقيقة عن جذر الغرائز لاهتدينا الى انها نابعة من جذر واحد هو حب الذات.

---

١ المصدر، ص ١١٠

٢ بحار الانوار ج٧٧ ص٢٩١

و الانشداد للمادة أو المنصب لايعدو الا جزءاً من حب الذات، أو بالتعبير القرآني هوىٰ النفس و عندما يستهوي الانسان ذاته أو يحب نفسه فان ذلك يعني انجذاب كافة الطاقات اليه، و التفكير هو الاخر طاقة لا تشذ عن سائر الطاقات النفسيه المنجذبة بعنف نحو ذلك.

وما يحدث أنّ هوىٰ النفس يثير التفكير بعيداً عن الواقع الموضوعي فلا يستطيع الانسان التفكير بصورة صحيحة.

وهنا يُطرح سؤال هام عن كيفية التمييز بين الافكار التي تصدر عن العقل و التي تصدر عن النفس؟

و ينبغي لنا التمهيد للاجابة أن التمييز هو واضح في كثير من الاحيان الّا ان ينغمس المرء في الباطل فيراه حقاً و يرىٰ المعروف منكرا ولكن بصورة عامة فهناك عدة مميزات يمكن اعتمادها في ذلك:

اولاً: إنّ الفكرة اذا كان منشؤها العقل فلا تتبدل بتبدل الظروف فلو شهدت لشخص انه عادل و انت تحبه ينبغي ان تكون ذات الشهادة عنه لك لو كرهته.

و هكذا تتبدل الفكرة الناشئة من النفس بتغير حالاتها، فربّما تكون النفس في حالة شهوة و حب عارمين او غضب شديد فيكون التفكير منساقاً لتلك الحالة.

ثانياً: تتميز الفكرة الناشئة من العقل بأنها ثابتة جازمة لا تقبل الريب إذ ان ذاتها الكشف، والكشف يعني ملامسة الواقع وشهوده.

فكيف يجد الانسان الواقع ثم يشكك فيه؟ ومن هنا فإن الحكم بقبح الظلم وحسن التضحية وجمال الآداب ليست أحكاما تقبل

الريب، والذي يرتاب فيها يحاول الفرار عنها بتغيير موضوعاتها بحيث تصبح الأحكام ليست هي التي تغيرت بل موضوعاتها فقط تبدلت، فمثلا: الذي يقول: أنّ الظلم حسن يغير معنى الظلم حتى يجعله يساوي معنى العدل ثم يقول بأنّه حسن.

ثالثاً :وأنّ أحكام العقل شاملة لا تخصص، فإذا كانت الرذيلة قبيحة فليس هناك فرق أن تكون صادرة من كبير أو صغير، وفي أي عصر وأي زمان.

واذا كانت الحادثة بحاجة إلى علة محدثة وسبب موجد، فلا فرق بين أن تكون الحادثة رمي كرة القدم أم وجود كرة الأرض. واذا كانت الصدفة محالة في وجود ساعة يد، فإنها محالة أيضا في صنع مخ الإنسان. وإذا كانت معادلة ٥×٥=٢٥ صحيحة، فلا فرق ان تكون في أي وقت وأي مكان.

رابعاً: أنّ أحكام العقل تتفق عليها عقول البشر، فالعقل هو العقل في أي رأس عاش وفي أي مخ سكن. وما هي فضيلة أو رذيلة هنا فهي في كل مكان ولدى كل إنسان فضيلة أو رذيلة.

ولكي يصل الانسان الى التفكير الموضوعي عليه أن يتخلص من الانفعالات النفسية أثناء التفكير، فلا يكون في حالة فرح شديد او حزن عميق أو غم مرهق لأن ذلك يؤثر على نفسية الفرد و لا يجعله يفكر سليما ويبعده عن الموضوعية .بل ويراعي حتى حالته النفسية فلايكون في حالة الشبع وقد جاء عن الامام الصادق :

«اياك ان تأكل ما لا تشتهيه فانه يورث الحماقة و البله ولا تأكل الا

عند الجوع»[1] و كذلك الجوع الشديد و أن لايكون في حالة الارهاق الجسدي كحاجته الى النوم مثلا، وبطبيعة الحال كل ذلك لعلاقة النفس مع بالتفكير.

التفكير السلبي

بعد ان عرفت أنّ للفكرة مصدران فهي اما تصدر عن العقل او عن النفس واذ ان نفس الانسان لها حالات متعددة فلذلك تأثير كبير على افكاره و منه ان تكون النفس سلبية.. فهو كمن يضع منظاراً قاتماً على عينه فلا ينظر الى الحياة الّا من خلالها و هكذا تكون افكاره سلبية دائماً.

وان احد اسباب تخلف الشعوب هو هذا النمط من التفكير الذي يسوق الانسان الى عدم العمل و يدعوه الى الركون الى الواقع المعاش و عدم التغيير، و يفكر دائماً بالفشل و عدم جدوى العمل، وعلى صعيد العلاقات فلا يصادق احداً لأنه يبرز دائماً السلبيات في الآخرين و يُدرج ضمن هذا العنوان كل فكرة تدعو الانسان الى فعل المعصية او ترك الطاعة.

التوكل على الله

في الوهلة الاولى قد يستغرب القارئ عن علاقة التفكير السلبي بالتوكل ولكن و لأن هناك علاقة متقابلة بين التفكير السلبي و بين

---

١ بحار الانوار ج١ ص٢٣٦

انعدام الثقة بالنفس فذلك طريق التخلص من التفكير السلبي.

فالناس سواسية في الفكر وأداته ألا وهو العقل، فتلك نعمة أسبغها الله على البشر جميعا، إنما يختلف الناس في مدى استثمارهم لها، ولكن لماذا يستثمر البعض عقولهم ويتركها آخرون؟ هناك عوامل عديدة تنبع من عامل واحد أساسي هوالشعور بالضعف إذ أنّ هذا الشعور يفقد صاحبه الإيمان بذاته، بقدراته، بإمكانية مقاومته الضغوط من حوله.

وحين يفقد الإنسان إيمانه بنفسه، لا يبقى منه إلا قشرة خاوية، إذ ما قيمة قدرة لا يعترف صاحبها بوجودها؟

مثلا، ما قيمة ثروة يمتلكها شخص دون أن يعرف أنها له؟ وما قيمة سلطة لا يعترف صاحبها بها؟ إن البشر مزّود بنور العقل، بالقدرة على كشف الحقائق، بإمكانية النفاذ إلى خبايا الحياة، ولكنه لا ينتفع بها من دون الإيمان بوجودها.

والأجيال التي تعبد جيلا سابقا، وتعتقد أنه وصل إلى قمة العقل والمعرفة، تبقى ـ هذه الأجيال ـ في أوحال الجهل، لأنها تفقد الثقة بقدرتها على فهم أي شيء لم يفهمه ذلك الجيل السابق.

ولا تكفي الثقة بالعقل، بل يجب أن يثق الإنسان بكامل قدراته ليستطيع استثمار عقله، ذلك لأن ضغوط الحياة المادية تفقد الإنسان استقلاله في التفكير والسلوك،و تفقده حريته في القرار.

السلطة الطاغية و المجتمع المحافظ و كذلك النظام الاقتصادي كل ذلك يُفقد الانسان ثقته بنفسه و بافكاره فيتجه الى التفكير السلبي في الحياة ولكن، هل تفقد هذه الضغوط حرية الإنسان حقيقة؟ هل

تجعله لا يقدر أبدا علىٰ تغيير وضعه؟ هل تسلبه إمكانية التمرد والثورة والتضحية والإصلاح؟ كلا إذ أن الله أكرم عباده بالحرية، وأعطاهم القدرة الكافية للدفاع عنها فالشعب المضطهد يستطيع تحطيم عرش السلطة الطاغية، والجيل المتطلّع للتغيير قادر علىٰ التمرد ضد جيل التخلف، والمجتمع يتمكن بالتفكير الجاد و العمل المتواصل من تغيير النظام الذي لا يناسبه، وتطورات التاريخ شواهد علىٰ هذه الحقيقة.

أقول: الإنسان قادر علىٰ المحافظة علىٰ حريته شريطة أمر واحد، هو الإيمان بذاته، الإيمان بأنه قادر علىٰ التمرد، والثورة والتضحية والإصلاح، وله من الإمكانيات ما تحقق ذلك، إذ القضية ليست قضية وجود إمكانيات، ان طاقات الإنسان لا تُحد ولا تنتهي، إنما هي قضية الإيمان بهذه الطاقات والثقة بها، كما أن القضية ليست في تطلع الإنسان إلىٰ تحقيق الحرية والإستقلال، إذ أن هذا التطلع هو أسمىٰ فطرة ركزها الله في طبيعة البشر، ولو بلغ الإنسان الثريا لـ(تطلّع) إلىٰ نجمة أرفع، ولو أوتي ملك الدنيا لـ(تطلع) الىٰ ملك الآخرة، ولو وهب خزائن الأرض لأمسك خشية الانفاق، وحبا في المزيد، وليس من بشر يتنازل عن حريته طوعا، ولكن يُكره إكراها يسلبه إيمانه بذاته، وثقته بقدرته علىٰ ممارسة حريته. فالقضية ـ إذاً ـ قضية ثقة، ومن هنا كان الطغاة يسعون أبدا إلىٰ إشعار ضحاياهم ـ من الشعوب ـ أنهم لا يقدرون علىٰ مقاومتهم، إذ بمجرد هذا الشعور، يستسلم الإنسان لواقعه الفاسد، فكرا وسلوكا.

ومفتاح الأمر آنئذ في الثقة إذ انها تدفع الإنسان إلىٰ تفجير طاقاته، واستغلالها في مقاومة ضغوط الطغاة.

وإذا تخلص الإنسان من خشية الطغاة، إستعاد حريته، وإستثمر عقله، وملك حياته وإستقلاله.

وبالتوكل على الله عزوجل نكسب الثقة فحين نؤمن بأنه رب السماوات والأرض، رب العالمين، بيده ملكوت السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، يعزّ من يشاء ويذل من يريد، ينصر عباده بالغيب، ينصر من ينصره، ويحب من يحبه ويتوكل عليه، ويعين من يستعين به،وحين نعرف أن الله واسع لا تحد عطاه العطايا، حين نؤمن بالله إيمانا حقيقيا، ونعرف أن الله عليم حكيم، وليس بظلام للعبيد، لا يمنع ولا يعطي اعتباطا وعبثا إنما بقدر مؤهلات الفرد ذاته، قدر إيمانه وعقله وعمله الصالح، حين ذاك، تتفجر ينابيع الخير في الإنسان.

يقول ربنا تعالى : «**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**» (التوبة/ ٥١)

ويقول «**فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**» (آل عمران/ ١٥٩).

و الخلاصة: لا يتخلص الانسان من الفكر السلبي إلا بالثقة، والثقة بالذات، والإيمان بالحرية، وبالقدرة على المحافظة بها، ولكن هذه الصفات لا توجد إلا بالتوكل على الله لأنه مفتاح الثقة، وشرط لاستثمار الإنسان عقله.

ج: تكامل التفكير

حين يملك المرء مصباحاً مضيئاً تحيطه حجب تحول دون انتشار

ضوءه فامامه طريقين للاستضاءة بذلك المصباح فهو اما ان يزيل تلك الحجب و ينقي الزجاجة منها و اما ان يزيد من ضوء المصباح ليتغلب على تلك الحُجب.

ذلك تماماً مثل نور العقل عند الانسان حيث تحيطه حُجب الهوى و الغفلة و المعاصي و حين يريد تصحيح مسار تفكيره عليه التخلص من تلك الحجب لكي يستضيء بنور عقله حين يزكي نفسه من براثن الشرك و الشك و الشهوات و يسمو في رحاب الايمان وقد جاء في الحديث الشريف : «**إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ كَانَ نُقْطَةً سَوْدَاءَ عَلَى قَلْبِه فَإِنْ هُوَ تَابَ وَ أَقْلَعَ وَ اسْتَغْفَرَ صَفَا قَلْبُهُ مِنْهَا وَ إِنْ هُوَ لَمْ يَتُبْ وَ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كَانَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْب وَ السَّوَادُ عَلَى السَّوَادِ حَتَّى يَغْمُرَ الْقَلْبَ فَيَمُوتَ بِكَثْرَةِ غِطَاءِ الذُّنُوبِ عَلَيْه وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ يَعْنِي الْغِطَاءَ وَ الْعَاقِلُ يَحْسَبُ نَفْسَهُ قَدْ مَاتَ وَ يَسْأَلُ اللهَ الرَّجْعَةَ لِيَتُوبَ وَ يُقْلِعَ وَ يُصْلِحَ فَأَجَابَهُ اللهُ فَيَجِدُّ وَ يَجْتَهِدُ**»[1].

اما الطريقة الاخرى (زيادة ضوء المصباح) فهي بذات الاهمية حيث ان الانسان يستضيء بنور عقله و لا يخفى ان المؤدى سيكون واحداً في النهاية و مهما يكن فزيادة نور العقل يكون عبر اتباع العقل فقد سبق القول ان ثمة ثنائية بين النفس و العقل و الانسان بارادته يعمل اما بتلك الفكرة التي منشؤها العقل او النفس و اتباع ما تلك الفكرة الناشئة من العقل تزيد من نصيب الانسان من نور العقل.

١ إرشاد القلوب إلى الصواب (للديلمي) / ج١ ص٤٤

التدبر في القرآن

لله سبحانه و تعالى نوران، نور يتجلى في كتابه، ونور يفيض على عباده الصالحين، فالقرآن نور الله في كلمات الانسان يملك نوراً الهياً وهو العقل.

وحين يلتقي النوران يتكامل العرفان، وهناك يشهد المؤمن حقائق الحق، كما لو أنها لؤلؤة شفافة فهوق كفه يقلبها كيف يشاء و التدبر في آيات الله هو ميعاد لقاء نورالعقل بنور الكتاب.

وعندما ينظر المؤمن بنور الله في آيات الذكر، فإنّ حدود المعرفة تصبح مترامية، وانبعاثاً من نقطة مركزة هي معرفة الله بالوحدانية وانتهاءً بكل ذرّة في هذا العالمِ الفسيح، يتشكل عرفان المؤمن شلالاً متدفقاً من نور العلم.

وهكذا فإنّ التدبر في القرآن يفتح آفاق للمؤمن كما انه يزيل الحُجب التي تمنعه من الوصول الى الحقائق.

جمع العقول

ومهما عُمّر الانسان الّا انّه لا يستطيع جمع كل المعارف -والتجارب- بنفسه فعليه الاستفادة من غيره لتكامل تفكيره و ذلك اما عن طريق التعلم من الاخرين و التتلمذ او عن طريق المطالعة المركزة وما احوجنا اليها في عصرنا الراهن او عن طريق الحوار البناء وقد جاء في الحديث الشريف أنه سئل أمير المؤمنين ع من أعلم الناس قال: «**من جمع علم**

الناس إلى علمه»[١].

---

١ لمحاسن / ج١ ص : ٢٢٩

الفصل الرابع: التدبير تجلّي التفكير السليم

يدور الكلام في هذا الفصل عن التدبير باعتباره احد تجليات التفكير على شخصية الانسان وعلى واقع حياته، و ربّما يتعرف المرئ على التفكير و مكوناته نظرياً ولكنه لا يستطيع ايجاد ذلك في واقعه العملي فالتدبير اذن احد تجليات التفكير السليم يقول امير المؤنين عليه السلام

يقول الإمام علي(ع): «**لا مال أعود من العقل ولا عقل كالتدبير**»[1].

ويقول عليه السلام: «**طول التّفكير يصلح عواقب التّدبير**»[2]

لأن الانسان حين يصحح منهج تفكيره في الحياة و يستضيء بنور عقله فان نظرته الى الحياة ستتغير ولا يُقدم على عمل الّا بعد النظر الى عاقبته و يسير في الحياة سيراً متوازناً منتظماً و اكبر الظن أنّ التدبير هو اصطلاح روائي لكلمة الادارة.

---

١ الكافي ج٨ص٢٠.

٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٤٣٧ / ٤٥ ..... ص : ٤٣٧

يقول امير المؤمنين عليه السلام: «**لا خير في دنيا لا تدبير فيها**[١]».

ويقول عليه السلام: «**صلاح العيش التدبير**».[٢]

ليس الانسان اول من يدير ولكنّه ضمن مجموعة كونية كلها تدار بالتنظيم اللامتناهي، فما من حبة في ظلمات الارض تقع او ورقة تذبل او شجرة تنمو او قطرة تهطل و فلك يسير الّا ضمن سنن الهية ليس لها تبديل، وعلىٰ الانسان أن يستلهم من الحياة درساً في الادارة ويمضي قدماً في تدبير حياته، و الانسان الذي لا يدير حياته ولا يعرف تدابير اموره فإنّه يكون قاب قوسين او ادنىٰ من الندم.

و يقسم العلماء اليوم الادارة الىٰ اصناف منها ادارة المال و الاعمال والافراد و ما شابه و لا يعنينا ذلك كله في هذا البحث و انما نعني بالتدبير او (الادارة) هنا ما يرتبط بالانسان نفسه اي كيفية ادارة الذات.

وذلك يعني :عملية تنفيذ تحويل أهدافنا وأحلامنا إلىٰ حقيقة واقعة وملموسة. او هي الطرق والوسائل التي تعين المرء علىٰ الاستفادة القصوىٰ من وقته في تحقيق أهدافه .

و سيتناول البحث ثلاثة اركان رئيسية هي الاساس في ادراة الذات اولاها الهدف و من ثم التخطيط و التنظيم انشاء الله.

١ بحار الانوار ج٦٧ ص٣٠٧
٢ غرر الحكم و درر الكلم ص٤١٦



إن من لم يحدّد أهدافه في الحياة..

يريد الوصول إلى أين .. ؟!؟

اولاً: الهدف

في واقعنا اليوم نجد أنّ الكثير من الشباب لا يملكون اهدافاً واضحة في الحياة و من يملك هدفاً يظن ان مقدس فهو يسير في سلسلة بين الدراسة و التعيين ليحصل على بعض الاموال ليصل الى بعض السعادة في بعض الوقت. فلا يعلم الى أين يسير و ما هي نقطة الوصول التي يرمي التوجه لها.

وتسامي قدر الانسان انما يكون باهدافه و غاية سعادة المرء في الدارين أن يخدم اهدافاً نبيلة و يحقق ما تيسر منها و هكذا لا تختلف قيمة طفل يانع و رجل مسن الّا في وجود هدف للاخير وهمته في تطبيق ذلك الهدف فلو تساويا فيهما لم يكن لاحدهم الفضل على الآخر وقد قال امير المؤمنين عليه السلام: «**قدر الرّجل على قدر همّته و علمه على قدر نيّته**»[1]

ويجدر الاشارة الى ان المجتمع البعيد او القريب يحمل عادة اهدفاً للانسان و ان لم يبادر الانسان بوضع اهدافه فهو سيكون حتماً هدفاً

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٤٩٩ / ٣١ ..... ص : ٤٩٩

للآخرين و تصنع الظروف اهدافه و لا يحقق الّا رغبات الآخرين.

اذن من الضروري أن يكون لكل شخص هدف يتناسب مع قيمه و مبادئه و رغباته و قد جاءت الروايات تترىٰ في ذلك فقد قال رسول الله (ص): «**رب نية انفع من عمل**»[١]

يقول أمير المؤمنين (ع):

«رحم الله امرئ عرف

من أين ..

.. و الى أين

و في أين ..

وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه و اله وسلم) يقول «**لا عمل إلا بنية**»[٢]

والنية هي الهدف.

اصناف الناس

و يختلف الناس باهدافهم على اصناف فمنهم من همّه بطنه و يتساوىٰ وجود هؤلاء من عدمه، يصبح الواحد منهم و همّه أن يشبع بطنه ويمسي ولا همّ له سوىٰ اللذة ومن كان كذلك فقيمته كما يقول أمير المؤمنين (ع) : «**من كانت همّته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منه**»[٣].

و قد جاء في الحديث الشريف عن امير المؤمنين (عليه السلام) :

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٢٣٥ / ١٩٤ ..... ص : ٢٣٥

٢ لا عمل إلا بنية

٣ غرر الحكم و درر الكلم / ٦٤١ / ١١٧٦ ..... ص : ٦٤١

«**أمقت العباد إلى اللّه سبحانه من كان همّته بطنه و فرجه**[١]».

ويقول (عليه السلام) : «**ما أبعد الخير ممّن همّته بطنه و فرجه**»[٢].

و الصنف الثاني من الناس من لهم همم عليا ولكنها محدودة في اطار الدنيا فهو كمن ينقذ شعباً من الاستعباد أو يحرر ارضاً من الاستعمار او يقوم بصناعة لمصلحة البشر او يكتشف امراً يساهم في التقدم العلمي،فلا يمكن جعل اولئك كالصنف الاول .

و مهما يكن فمن تعلو همته يكون عظيماً بين الناس وفي الحكمة عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال:«**مَنْ رَقَى دَرَجَاتِ الْهِمَمِ عَظَّمَتْهُ الْأُمَمُ**»[٣].

ولكن تبقى اهداف المؤمن اسمى و انبل من ذلك و ما سنذكره هو الملامح العامة لهدف الانسان المؤمن مع احتفاظ كل شخص بخصوصيته.

هدفية المؤمن بين الدين و الدنيا

يلتبس لدى الناس غالباً ايجاد العلاقة الصحيحة التي تربطهم بالحياة الدنيا، فلا يكاد يخرج من الافراط في التحلل من القيم و مبادئ الدين[٤] ، حتى يدخل في التفريط بالعزلة عن الناس و انتهاج

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٢١٢ / ٤٦٨ ..... ص : ٢١٢

٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٦٩٤ / ١٩٠ ..... ص : ٦٩٤

٣ عيون الحكم و المواعظ (لليثي) / ٤٥٠ / الفصل الأول بالميم المفتوحة بلفظ من ..... ص : ٤٢٣

٤ من صحّت معرفته إنصرفت عن العالم الفاني نفسه و همّته غرر الحكم و درر

الرهبانية سلوكاً ومنهجاً، و شمل ذلك ايضاً تحديد الهدف فيظن البعض أنّ الاهداف إمّا أن تكون للدين او للدنيا و بين هذا وذاك يكتشف الرسالي و انطلاقاً من آيات الذكر الحكيم، الخط المتوازن بين الحالتين، فهو يمثل الأنموذج الذي يتمسك بالخط الإسلامي الوسط الذي يجمع بين الدنيا و الآخرة، ويعد الدنيا حقلاً من حقول العمل التي أراد للإنسان أن يعيش فيها حياة طيبة، و[الدنيا مزرعة الاخرة]، كما جاء في الحديث الشريف، يتناول فيها الطيبات و يُقبل فيها على ما أحله له من شهوات و ملذات، ثم يرى أن الآخرة هي نهاية المطاف، فهي دار القرار الذي يجد فيه كل إنسان دار خلوده في الجنة أو في النار – لاسمح الله– ولذلك يدعو المؤمنون ربهم قائلين:

«وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ» (بقرة/ ٢٠١)

فهم يمتلكون الدنيا لأجل الآخرة.

و هكذا اهدافهم هي في الدنيا ولكنها لاجل الاخرة و انما نعني باهداف الاخرة هي الاهداف الربانية التي ان طبقها الانسان ينعم بسعادة الدارين و المؤمن يجعل الدنيا كمرآة ينظر بها الى الآخرة وبذلك حين يفكر في هذه الخليقة و حين ينظر الى عنان السماء يراجع اهدافه في هذه الحياة ويقول:

«رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ» (آل عمران/ ١٩١).

الكلم ص: ٦٦٤

لأن الله سبحانه و تعالى خلق الانسان لهدف و قد قال سبحانه و تعالى:

«افحسبتم أنمّا خلقناكم عبثاً و أنكم الينا لا ترجعون» (المؤمنون/ ١١٥).

و المؤمنون يفكرون دائماً في ذلك الهدف الذي خُلقوا من اجله ثم يطبقون ذلك الهدف على حياتهم فما هو الهدف الذي خُلق الانسان من اجله؟

قالوا: التكامل

فحين وجد الانسان في هذه الحياة فعليه السعي نحو التكامل و في جميع الابعاد المادية و المعنوية، فهو وُجد ليعمر المساكن و يُصلح الارض و يقيم حضارة ومدنية كما انه وُجد ليتكامل في البُعد الشخصي، فيحسن معيشته و يتكامل خُلُقه و يُرفع جاهه و مقامه فالهدف هو التكامل على كل الاصعدة دينياً و دنيوياً.

و قالوا: العبودية

و ربّنا عزوجل يبيّن لنا ذلك بقوله تعالى:

«و ما خلقت الجن و الانس الّا ليعبدون» (الذاريات/ ٥٦).

ومعنى ذلك ان يجعل الانسان العبودية لله محوراً لاهدافه و منطلقاً لتطلعاته ليتجلى ذلك الهدف على واقع حياته بعبارة اخرى الهدف الرئيسي للمؤمنين مرضاة الله سبحانه و تعالى وكل لحظة من حياتهم انما تكون في اطار ذلك الهدف فهو غطاء ينطوي تحته العشرات من الاهداف.

فقد يكون طبيباً حاذقاً يمتهن الطب لخدمة الانسانية و المهندس ليعمر البلاد و الموظف ليخدم الناس و الاستاذ ليربي الاجيال وهكذا يختار لنفسه هدفاً في الحياة شريطة أن لا يخرج من غطاءه وهو مرضاة الله تعالىٰ .

و نقول أن مؤدىٰ الامرين واحد لو فُسرا بصورة صحيحة.

لأنّ تكامل الانسان في كلّ الاصعدة انّما يكون بالعبودية و اي نجاح دون ذلك فهو نجاح موهوم، فايّ حضارة لا تكون الهية فهي اوهن من بيت العنكبوت.

و أي ثقافة لا تنبثق من هدىٰ الوحي فلا تستقيم، و ايّ شخصية لا تتربّىٰ بتربية الدين فهي لم تصل الىٰ التكامل.

لأنّ التكامل الحقيقي هو الذي يجمع بين نجاح الدنيا وفلاح الآخرة وذلك لا يكون الّا بالعبودية لله.

و اما العبودية لله فحقيقتها ليس الصلاة وحدها او العبادات و انّما هو منهج عام في الحياة فليس الدين ارتباط بين الانسان و ربه في المسجد فحسب ..إنّما في السوق ايضاً و في خضم تيارات المجتمع ايضاً و ليس فيما يتصل بالعبادات فقط و انّما كل مناحي حياته يقول ربنا تعالىٰ: « **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيايَ وَ مَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**» (الأنعام/ ١٦٢).

يقول امير المؤمنين (عليه السلام): «**لم يفد من كان همّته الدّنيا عوضا و لم يقض مفروضا**»[١].

انما الكيس من كانت همته الطاعة اي ان لا يخرج من اطار مرضاة الله سبحانه و تعالى يقول امير المؤمنين (عليه السلام): «**الطّاعة همّة الأكياس**»[٢].

و من كان كذلك اصلح الله له دنياه فالذي يصلح ما بينه و بين الله يُصلح الله له ما بينه وبين العباد و من يجعل هدفه ربانياً و اخروياً جاءتهم الدنيا صاغرة فقد قال امير المؤمنين (عليه السلام) «**عَلَيْكَ بِالْآخِرَةِ تَأْتِكَ الدُّنْيَا صَاغِرَةً**»[٣].

و يقول (عليه السلام) «**من كانت الآخرة همّته بلغ من الخير غاية أمنيّته**»[٤] .

ولذلك فالمؤمنين يعيشون السعادة ابداً ، لأنه يؤمن برب سميع مجيب دعوة الداعين و حين يواجه مشكلة فانه يتوجه الى الله سبحانه و تعالى عسى ان يبدل حاله الى احسن حال.

ابعاد الهدف

و يُعرف من ذلك ان هناك عدة ابعاد في اهداف الانسان يسعى

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٥٦٣ / ١١ ..... ص : ٥٦٣
٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٤٠ / ٦٦٧ ..... ص : ٤٠
٣ عيون الحكم و المواعظ (لليثي) / ٣٣٥ / الفصل الثالث بلفظ عليك .. ص : ٣٣٣
٤ غرر الحكم و درر الكلم / ٦٤٦ / ١٢٤٩ ..... ص : ٦٤٦

الانسان ان يتكامل في كل بُعد منها و باستمرار و قد جاء في الحديث الشريف: «**من تساوى يوماه فهو مغبون و من كان امسه افضل من يومه فهو ملعون**» ويمكن تلخيص الكلام في بعدين رئيسيين

أ- البُعد الروحي : لأنّ الانسان مهما تسامىٰ في ايمانه الّا ان فوق ذلك درجات وعلىٰ المؤمن ان يسعىٰ دائماً لسمو ايمانه و تزكية نفسه. و تسامي صلته بالله و حُبه لأولياءه و معرفته بآياته و التزامه بتعالميه و احكامه ، و ذلك فيما يتصل بالجانب الديني و مما يؤسف له ان بعض الشباب لا يفكرون في ذلك بتاتاً فهو في غفلة عن دينه و تغافل عن ربه أو ان يكون أمر الدين ثانوياً في حياته.

و كم هم اولياء الرحمن الذين اخفاهم بين عباده يحسبهم الناس امثالهم و هم عند الله عظماء، وتلك المقامات العظيمة و اصحاب الكرامات و العرفاء الحقانيين اقول كلنا يستطيع ان يصل الىٰ ما وصلو اليه فلم لا نجعل ذلك من اهدافنا.

ب- البُعد الشخصي: ليس صحيحاً ان يتخذ البعض ذريعة الزهد في الدنيا لعدم سعيهم في الرزق او التسليم لقضاء الله لعدم السعي لتطوير واقعهم و الاكتفاء بالدعاء لحلّ مشاكلهم وذلك فهم خاطئ للدين فليس الزُهد ان لا تملك شيء وانّما أن لا يملكك شيء وليس الدعاء بديلاً عن العمل انما هو مكمل له.

و في المقابل نجد الكثير من الاحاديث الشريفة تحثنا عن العمل و عن التزود و التوسيع علىٰ العيال فعن ابي عبد الله (ع) أنّه قال:

« الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ[١]**»**.

و ان كان الدين يدعو لترك العمل لكان اولى بالانبياء ان يتركوه بينما نجدهم بين راع و تاجر ومزارع، وفي الحديث عن ابي عبد الله (ع) قال:

«إِنِّي أَرْكَبُ فِي الْحَاجَةِ الَّتِي كَفَاهَا اللهُ مَا أَرْكَبُ فِيهَا إِلَّا الْتِمَاسَ أَنْ يَرَانِيَ اللهُ أُضْحِي فِي طَلَبِ الْحَلَالِ أَ مَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ - فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ أَ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتاً وَ طَيَّنَ عَلَيْهِ بَابَهُ ثُمَّ قَالَ رِزْقِي يَنْزِلُ عَلَيَّ [مِنَ السَّمَاءِ] كَانَ يَكُونُ هَذَا أَمَا إِنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ»[٢].

حتى عُدّ العمل افضل عبادة فقد قال رسول الله (ص): **« الْعِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً أَفْضَلُهَا طَلَبُ الْحَلَالِ»**[٣].

و غيرها الكثير من الروايات تدل على ان المؤمن عليه ان يسعى للتكامل و السعي الدائم للافضل في الدنيا و ذلك بدءاً من البُعد المادي.

وقد جاء في الحديث: **«قَالَ رَسُولُ اللهِ ص نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللهِ الْغِنَى»**[٤].

و ليس بمحضور ايضاً ان يبحث المرئ عن بيت واسع وقد جاء

---

١ الكافي (ط - الإسلامية) / ج٥ / ٨٨ / باب من كد على عياله ..... ص : ٨٨

٢ عدة الداعي و نجاح الساعي ؛ ؛ ص٩١

٣ الكافي (ط - الإسلامية) / ج٥ / ٧٨ / باب الحث على الطلب و التعرض للرزق ..... ص : ٧٧

٤ الكافي (ط - الإسلامية) / ج٥ / ٧١ / باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ..... ص : ٧١

في الحديث: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا رَاحَةٌ دَارٌ وَاسِعَةٌ تُوَارِي عَوْرَتَهُ وَ سُوءَ حَالِهِ مِنَ النَّاسِ»[1].

وليس محضوراً التوسع على العيال وقد قال امير المؤمنين (ع): «حُسْنُ الْخُلُقِ فِي ثَلَاثٍ اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ وَ طَلَبُ الْحَلَالِ وَ التَّوَسُّعُ عَلَى الْعِيَالِ»[2].

و هكذا فليس بمحضور ان يضع الانسان ذلك ضمن اهدافه هذا وهناك ابعاد اخرىٰ يمكن ادراجها هنا نشير اليها باختصار من ذلك البُعد الثقافي اذ يسعىٰ الانسان ان يُنمي ثقافته و يزيد منها باستمرار و يضع لنفسه منهجاً للمطالعة او لاستماع الدروس او ماشابه و مما يؤسف له تدني هذا الاحساس عند اغلب الشباب.

ومن ذلك ابعاد البيت و العائلة و الصحة و التعليم و الترفيه و

النجاح في الحياة لايكون فقط نجاحا ماديا بحتا ..

ولا نحصل عليه فقط بالصحة الجيدة .. كما انه ليس بعدد الاصدقاء .. أو بنيل الشهادات العلمية.

فالنجاح الحقيقي الكامل هو:

النجاح المُتَّزِنْ

والذي يشمل جوانب الحياة كلها.



١ الكافي (ط – الإسلامية) / ج٥ / ٣٢٨ / باب من وفق له الزوجة الصالحة ..... ص: ٣٢٧

٢ مجموعة ورام / ج١ / ٩٠ / باب العتاب ..... ص: ٥٧

السفر، فاذا ما كان كل ذلك بتدبير فذلك طريق السعادة.

التوازن

و اهم ما في ذلك التوازن بين تلك الاهداف وفي ذلك اخطأ الكثير من الناس حين ظنّو أنّ الجمع بين البُعدين_الروحي والشخصي_ مستحيل!

فظنّوا أنّ التديّن يعني الانعزال عن الناس و التعاسة و البؤس، وهكذا اخذ هذا المفهوم الخاطئ من التدين بنفور البعض منه، والواقع ان ذلك تصوّر خاطئ و من يصوّر الدين بتلك الصورة فهو اما جاهل به أو متآمر عليه.

و الامر بعكس ذلك تماماً لأنّ الدين دين السعادة فليس رجل الدين هو من درس الحوزة فحسب وان كان مصداقه الجلي ولكن كل رجل متدين هو رجل دين. فالتلميذ في مدرسته و الموظف في دائرته و الطبيب في مطبه و المهندس في عمله و التاجر في السوق و المزراع في ارضه كل واحد منهم هو رجل الدين حين يحمل رسالة الدين و يبلغ عنها او حين يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر او حين يكون مظهراً للدين بافعاله فهو رجل دين.

فالتوازن اذن في الوهلة الاولى يكون بين البُعد الروحي والبُعد الشخصي هو أن لا يتعدىٰ مرضاة الله سبحانه و تعالىٰ فلا يفدي دينه لدنياه انما يجعل تقوىٰ الله نصب عينه و هو سائر في الحياة ليسير بما امره الله تعالىٰ و ينتهي عما نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

و البُعد الثاني للتوازن هو في البعد الشخصي ذاته فمن الناس من يفدي صحته من اجل الحصول على المال فتراه يعمل ليل نهار و يترابط باكثر من وظيفة زاعماً بأنه يسلك درب السعادة الّا انه اخطأ الطريق فتراه بعد مدة وهو يعاني من مختلف الاوجاع و الآلام لأنه حمّل جمسه ما لا يحتمل ولم يوازن بين اهدافه ولكن على الانسان ان يوازن بين تلك الاهداف ايضاً فيجعل لكل واحد قسطاً من الاهتمام.

يروى عن ابي ذر الغفاري انه قال :

«اجْعَلِ الدُّنْيَا كَلِمَتَيْنِ كَلِمَةً فِي طَلَبِ الْحَلَالِ وَ كَلِمَةً فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَ انْظُرْ كَلِمَةً تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ فَدَعْهَا اجْعَلِ الْمَالَ دِرْهَمَيْنِ دِرْهَمٌ قَدَّمْتَهُ لِآخِرَتِكَ وَ دِرْهَمٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى عِيَالِكَ كُلَّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ»[١].

و عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال:

«النّاس في الدّنيا عاملان عامل في الدّنيا للدّنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلّف الفقر و يأمنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره و عامل في الدّنيا لما بعدها فجائه الّذي له بغير عمل فأحرز الحظّين معار الدّارين جميعا»[٢]

وقد عبر عن ذلك آية الله السيد هادي المدرسي في كتابه مفاتيح النجاح حيث قال:

«حدث لي ذات يوم و أنا اريد ان ألقي محاضرة عن النجاح ، أن جاءني رجل وسألني: عن أي نجاح تريد ان تتحدث ؟ عن النجاح

---

١ دعائم الإسلام / ج١ / ٢٧٠ / ص : ٢٦٨
٢ غرر الحكم و درر الكلم / ١٢٣ / ٢١٦١ ..... ص : ١٢٣

في الدنيا ، ام عن النجاح في الآخرة ؟

قلت: عن كليهما.

قال: وهل يمكن الجمع بينهما؟

قلت: لا شك في ذلك فإنه لأمر ممكن أن يحظى المرء بنجاح باهر في دنياه، وفوز بالعمل الصالح لآخرته، وقد حدث ذلك لكثيرين

قال: ألا ترىٰ أن من يربح لا يهتم عادة بغيره ولا يهمه ان كان الآخرون يربحون مثله، ام يخسرون ؟ بل ان بعضهم يبني ربحه على خسارة غيره؟

قلت: هذا يحدث احياناً كثيرة ، ولكنه شذوذ عن سنة الله تعالى. فالباري عزوجل فتح أمام عباده طريق الخير كما هو مفتوح أمامهم طريق الشر «**انا هديناه السبيل إما شاكراً و اما كفورا**»(الإنسان/ ٣).

يقول امير المؤمنين علي (ع):

من صغرت همّته بطلت فضيلته

فطريق الحلال ممتد أمام الجميع الى ما لا نهاية.

وطريق الحرام -هو الاخر- مفتوح أمام الجميع الى ما لا نهاية.

والربح يمكن أن يأتي مما ينفع الناس كما يمكن ان يأتي مما يضرهم، و التجارة قد تكون توفير الطعام لآكليه وقد تكون تجارة المخدرات

للمبتلين بها[١].

هدفية المؤمن بين العالي و الداني

ثم ان ليس على المؤمن امتلاكه للهدف فحسب و انما عليه التفكير في معالي الاهداف و لا يقنع بعيش بسيط لا يعترضه عارض ذلك لأنه في ظلّ التنافس الحاد و التسابق الدائم الذي أخذ بالازدياد يوماً بعد آخر بين البشر فرضت معادلة جديدة في الحياة مغزاها أنّ من لا يملك همّة عالية يضمحل و يتلاشى و يسحق تحت اقدام الناجحين في الحياة.

و الدين بدوره يؤكد ضرورة امتلاك الانسان لهمة عالية ولهدف سامي فقد جاء في الحديث الشريف «يطير المرئ بهمته كما يطير الطائر بجناحيه» فالمؤمن يرغب ان يكون الاعلى في الحياة و الافضل في عمله وقد قال امير المؤمنين (عليه السلام): «**خير الهمم أعلاها**»[٢].

وقال عليه السلام: «**من شرفت همّته عظمت قيمته**»[٣].

و ذلك الطموح لا يكون في البُعد المادي فحسب وانما ايضاً فيما يتصل بالآخرة يقول ربنا عزوجل:

«**فمن اراد الآخرة وسعى لها سعيها**» (الإسراء/ ١٩).

تشير الآية ان سعي الانسان في الدنيا مفيد فان كان يريد الدنيا فان

---

١ مفاتيح النجاح ص١٧

٢ غرر الحكم و درر الكلم، ص: ٣٥٦

٣ غرر الحكم و درر الكلم/ ٦٠٩ / ٦٧٤ ..... ص : ٦٠٩

الله سبحانه يعطيه منها بقدر ومن أراد الآخرة يشكره الله على سعيه ولكسب رضى الله و الفوز بالجنة لا يكفي ان يحلم الانسان بذلك بل عليه ان يسعى من اجله وان يكون مؤمناً بعمله يؤديه عن خلوص نيته.

و اخيراً انّ ما يدعونا لعلو الهمة بأن امامنا نحن البشر عقبات لا يسهل العبور منها فاذا الغينا حاجز الزمن و نظرنا بعين البصيرة لنعي المستقبل نجد هناك عقبات في الدنيا وابتلاءات ثم عقبات في البرزخ و القيامة، و من يريد ان يقنع بعيش من دون تحديات فذلك ما لايكون انما المؤمن بعلو همته في الدين و الدنيا يفوز بهما باذن الله تعالى.[١]

يقول امير المؤمنين (ع):

رُبَّ فَتًى دُنْيَاهُ مَوْفُورَةٌ *** لَيْسَ لَهُ مِنْ بَعْدِهَا آخِـرَةٌ

وَ آخَرٌ دُنْيَاهُ مَذْمُـومَةٌ *** يَتْبَعُـهَا آخِرَةٌ فَاخِـرَةٌ

وَ آخَـرٌ فَازَ بِكِلْتَيْـهِمَا *** قَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا مَعَ الْآخِرَةِ[٢]

---

١ يجدر الاشارة ان المُراد بالطموح العالي ليس الخيالي ، فمن الناس من يرسم هدفاً في مخيلته ويعيش معه و لكنه في واقعه يسير بخلاف طموحه و نحن اذ نقول ان طموح المؤمن ينبغي ان يكون عالياً لكن ايضاً ان يكون معقولاً يمكن تطبيقه بالنظر الى الظروف الموضوعية و الواقع المعاش فلم اطمح يوماً ان اكون رئيساً لاحدى البلدان الاروبية لأنه طموح خيالي ولا ان احلق في عنان السماء دون وسيلة ، وبين الطموح الخيالي و التسليم للواقع منطقة وسطى علينا البحث عنها .

٢ ديوان أمير المؤمنين عليه السلام / ١٩٩ / در بيان اقسام مردمان .... ص: ١٩٩

ثانياً: التخطيط

التخطيط استشراف للمستقبل، وهو تبصّر يقوم به العقل ليبين للعاملين مسالك الطريق ولأنّ النجاح هو تحقيق الأهداف الحاضرة في المستقبل، فإن التخطيط جزء أساسي للنجاح فاذا فشلت في التخطيط فقد خططت للفشل.

فالتخطيط يقسم حياتك إلى مراحل ومحطات تقف عند كل محطة منها لتراجع نفسك وتقيمها وبدون التخطيط تصبح الحياة «ضربًا من العبث وضياع الوقت سدىً، إذ تعم الفوضى والارتجالية ويصبح الوصول إلى الهدف بعيد المنال»

قد يخطط الانسان للتحسين عيشه او لتطوير علمه او لنجاح عمله او لكسب اصدقاء او مساعدة الفقراء او ..الخ

و التخطيط يعتمد على اشياء عدة أهمها :

أ) تحديد الهدف، و اعتماد التخطيط على تحديد اهداف واضحة و كلما كانت الاهداف اوضح كان التخطيط اكثر احكاماً وقابل للتبطيق،

وأن يكون التخطيط على وفق الاهداف .

ب) معرفة ظروفك، من الامكانيات المتاحة و الاشخاص الذين تستطيع الاعتماد عليهم و ايضاً العقبات التي تحول بينك و بين الوصول الى هدفك.

ج) المرونة في التبطيق، بأن يتخذ الفرد الخطوات المناسبة في الوقت المناسب و أن يتلائم مع تلك الظروف، ولا تنسى أنّ باب التعديل موجود في الخطة.

د) الوقت: بعد استكمال الخطوات اللازمة في وضع الخطة، ابدأ بالتنفيذ حسب المدة المقررة للبدء،فلا تتأخر عن ذلك، لأن (في التأخير آفات) كما ورد في الأثر فكم من خطط سليمة وضعت لتحقيق أهداف سليمة ولكن التأخير عن تنفيذها ألغاها تماماً.

و لا شك في أنّ لكل شخص ظروفه الخاصة، التي تفرض عليه نظاماً معيناً. المهم ينبغي أن يخطط لأعماله التي ينبغي أن يقوم بها ابتداءاً من اعمال البيت الى المدرسة و الى العمل و الى جميع الشؤون الحياة. فبعد وضع الاهداف المناسبة على الانسان ان يحدد خطة واضحة للوصول الى الهدف.

ثالثاً: التنظيم

نظم امركم

قد يملك المرء ارضاً تصلح للزرع و الحرث فيتركها لحالها لتكون مجمعاً للماء الآسن و الاوساخ و قد يستصلحها و يزرعها لتكون جنة فيها من الثمرات ما لذ وطاب وحين نزول الغيث من السماء يكون له عوناً ان استصلحها و وبالاً ان تركها ذلك شأن التنظيم.

لأنّ من يفقد التنظيم فانّه يعيش حياة التبعثر و التشتت و حين يُعطىٰ نعمة فانّه لا يستثمرها بل قد تكون نقمة عليه لأنه فقد التنظيم يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لسيدا شباب اهل الجنة (عليهما السلام):

«اوصيكما وجميع ولدي و أهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله و نظم امركم»[1].

ينجز الانسان بالتنظيم ما يعجز عن إنجازه تلقائياً، فكم من أمور

١ نهج البلاغة للصبحي الصالح ص٤٢١

لا تستطيع إنجازها ما دمت لم تلتزم بنظام دقيق لها. ثم تنجزها بسهولة عندما تلتزم بجدول زمني محدّد، وعمل يومي محدود؟

إن التنظيم كما قيل قديماً يوفر نصف الوقت، والرجل الذي ينظم أدوات عمله، ويعرف مكان كل شيء بدقة يستطيع الحصول على الأشياء والمعلومات في مدة قياسية، والوقت عامل حاسم في النجاح وقد يكون الفارق بين النجاح والفشل دقائق قليلة، هذه الدقائق الثمينة يوفرها التنظيم.

و حين ينظر المرء الى الكون فانه يلامس آية عظمة الله في نظمها و كيف ان لكل جزء تقوم الحياة على نظام دقيق،فالشمس تشرق في مواعيدها المحدودة، ولا تخلف عنها منذ ملايين السنين.كذلك الأرض تدور حول محورها بدقة لا متناهية.

وكذلك يفعل القمر، والنجوم، و السحب، و الامطار، و تموجات البحر، وحركة الرياح،ودرجات الحرارة والبرودة. فكلها تسير وفق جدول زمني كوني دقيق، بما لا ينتهي من أجزاء الزمن، و علينا نحن البشر ان نمضي قدماً لتعلم درساً آخر من خليقة الله سبحانه وتعالى في تنظيم حياتنا فان كان كل شيء خُلق بنظم دقيق الا يجدر بالانسان ان يسعى لذلك التنظيم ايضاً وبذلك كان التنظيم سنة كونية و واجباً عقلياً بقول امير المؤمنين حين جعله تالي تلو التقوى. وهو ايضاً ضرورة حضارية، فهو من مكونات الاساسية للحضارة و مقتضى البحث الكلام عن البُعد الشخصي للتنظيم وذلك في تنظيم الوقت و العلاقات.

تنظيم الوقت

تتوالى الايام وتتقادم الليالي و تتسارع الساعات الى الانقضاء و نحن في غفلة عنها.. الا ترى «العمر كيف تفنيه اللحظات و تنهبه الساعات و تسارع في هدمه اليالي و الايام فما أسرع السّاعات في الأيّام و أسرع الأيّام في الشّهور و أسرع الشّهور في السّنة و أسرع السّنة في العمر.»

الوقت وسيلتنا لكل شيء فهو الحياة و سبيلنا للنجاة و النجاح الا ترى ان الاستفادة من الوقت هي التي تميز الناجحين والفاشلين في هذه الحياة، إذ أن السمة المشتركة بين كل الناجحين هو قدرتهم على الموازنة بين الأهداف التي يرغبون الوصول اليها و بين اوقاتهم[١].

و يصح العكس ايضاً فكم يا تُرى اولئك الذين يبحثون عن ملهيات لتضييع اوقاتهم كأنهم وُجدوا ليصرفو اوقاتهم فحسب و هم في غفلة يقول ربنا تعالى:

«**اقترب للناس حسابهم و هم في غفلة معرضون**» (الأنبياء/ ١).

لأنّ أمامنا مواقف صعبة ينبغي ان نعمل لها يقول امير المؤمنين (عليه السلام):

«**عجبت لمن يرى أنّه ينقص كلّ يوم فى نفسه و عمره و هو لا يتأهّب للموت**»[٢].

ويقول (عليه السلام): «**إحفظ عمرك من التّضييع له فى غير العبادة**

---

١ يقول آية الله السيد هادي المدرسي (دام ظله) ما رأيت عظيماً الّا و كان كريماً ولكنه كان ابخل شيء اذا ما تعلق الامر بصرف وقته..

٢ غرر الحكم و درر الكلم/ ٤٥٩ / ٦ ..... ص: ٤٥٩

و الطّاعات»[١].

ويقول عليه السلام: **«إنّ المغبون من غبن عمره و إنّ المغبوط من أنفذ عمره في طاعة ربّه»**[٢].

فللوقت اذن اهمية فائقة في الحياة خصوصاً لو قيس بمنظار الآخرة فالدقائق في الدنيا قد تعدل مئات السنوات من الآخرة و رُب عمل حدث في دقائق لكن جزاءه بمئات الاضعاف فليس علينا ابداً الاستهانة بالوقت و علينا الاهتمام به و ذلك بنظمه بافضل صورة.

وطريق النجاح في الدنيا بمختلف الاصعدة هو استثمار الوقت فبه يحقق الانسان اهدافه فالذي يصرف وقته في التوافه لا يستطيع ابداً التفوق العلمي، أو الربح المادي، أو اي مكسب معنوي.

وهكذا الامم حين تحترم الوقت فانها تسير نحو الحضارة.

الفراغ [٣]

من الناس من يعيش في الفراغ دائماً متأخراً عن جميع اعماله و مجبراً على اداءها و حينما تسأله عن ذلك يجيب بأنّه يعاني من تراكم الاعمال وقلة الوقت، ولكن في الحقيقة ليس السبب في ذلك انما السبب هو عدم تنظيم الشخص حياته اليومية، وعدم برمجة اوقاته، بمعنى أن

---

١ غرر الحكم و درر الكلم، ص: ١٤٥

٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٢٢٨ / ١٢٦ ..... ص : ٢٢٨

٣ عن أبي عبد الله ع قال: ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم يا ابن آدم أنا يوم جديد و أنا عليك شهيد فقل في خيرا و اعمل في خيرا أشهد لك به يوم. القيامة فإنك لن تراني بعدها أبدا الكافي (ط - الإسلامية)، ج٢، ص: ٥٢٣

يكون الشخص استرسالياً يستدرجه كل شيء فلا ينظم وقته و لا يحدد وقتاً للقراءة و للنوم و للعلاقات الاجتماعية ووقتاً لمسئولياته الحياتية وهكذا، فمثلاً يستدرجه صديقه في جلسة مشوقة على حساب قراءة كتاب او اداء مسئولية اخرى، أو يقضي ساعات في ممارسة بعض الالعاب او مشاهدة التلفاز او ما شابه و حين تنظر الى حياته حين يكون في الستينيات من عمره يكون حاله كما قال الشاعر:

اذا عاش امرؤ ستـــــــين حولا

فنــــــصف العمر تمحقه الليـــالي

و نصف النصف يمضي ليس يدري

لغفـــــلته يمـينا عن شمـــال

وثــلث النـصف امال و حـرص

و شـــغل بالمـكاسب و الخيــال

وبــاقـي العمــر اسقــام و شيب

وهـــم بارتحـــال و انتقـــال

استراتيجية تنظيم الوقت

بصائر السماء لا تنظم علاقة الانسان بالسماء فقط و انما تتسع بمداها لتشمل كل لحظة يعيشها الانسان في الارض و هكذا بما يتصل بتنظيم الوقت، حيث يعطي بصيرة ليعيش المرء السعادة بالتوازن بين ابعاد الحياة المختلفة يقول الامام الكاظم عليه السلام:

«اجْتَهِدُوا فِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُكُمْ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ سَاعَةً لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ وَ سَاعَةً لِأَمْرِ الْمَعَاشِ وَ سَاعَةً لِمُعَاشَرَةِ الْإِخْوَانِ وَ الثِّقَاتِ الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكُمْ عُيُوبَكُمْ وَ يُخْلِصُونَ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ وَ سَاعَةً تَخْلُونَ فِيهَا لِلَذَّاتِكُمْ فِي غَيْرِ

مُحَرَّمٍ وَ بِهَذِهِ السَّاعَةِ تَقْدِرُونَ عَلَى الثَّلَاثِ سَاعَاتِ»[١]

فيعطينا الامام استراتيجية و ما اروعها لتنظيم الوقت يجمع بين واجبات الآخرة و احتياجات الدنيا و لذاتها في اطار الحلال و مما ينبغي التنويه عليه ان الساعة المقصودة هنا ليست تلك المتعارفة بدقائقها الستين، و انمّا بُرهة من الزمن قد تزيد او تنقص بمعنىٰ أنّ تقسيم الامام ناظر الى أنّ المؤمن ينبغي أن يوازن بين هذه الابعاد الاربعة و ليس بالضرورة أن يكون ذلك بالتساوي.

أ: ساعة المناجاة

في سرعة الحياة توقّف فجأة أيّها القارئ اللبيب، وتابع قطرات الماء التي تتساقط من كفيك من أثر الوضوء، توقف كي ترحل بداخلك قليلاً وتعترف بضعفك و احتياجك الى خالقك لا تسمح للحياة السريعة ان تسرق منك لحظات التعبد و الطاعة، هذه اللحظات تأبىٰ علىٰ التفريط فيها. وهكذا ينبغي للانسان أن تكون له ساعة يناجي بها ربه ويعبده، يقول امير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَ سَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ**»[٢] .

وفي تلك اللحظات الايمانية يستذكر المرء خطاياه فيستغفر الله تعالىٰ و يقوّم مسيرة حياته فيصحح ما بدر منه من اخطاء.

محاسبة النفس

---

١ تحف العقول / النص / ٤٠٩ / و روي عنه ع في قصار هذه المعاني .. ص : ٤٠٨

٢ تحف العقول، النص، ص: ٢٠٣

كل امرء معرّض في ساعات الليل و النهار بالتدنس بالمعاصي و الصفات الذميمة التي قد تُحمل له من المجتمع او افراداً منه او من الهوىٰ و ميوله النفسانية او ابليس ووساوسه الشيطانيه وتكمن الخطورة في أن يحمل تلك الصفات دون شعور، ولذلك كان محاسبة النفس من المفردات التي كثُر ذكرها في الروايات الشريفة لأهميته ففي الحديث الشريف عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال: «**ما أحقّ للإنسان أن يكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب لها و عليها في ليلها و نهارها**»[1].

ب: ساعة للمعاش

لم يُبعث نبياً الّا كان يعمل في الدنيا فـ «**آدَمَ كَانَ حَرَّاثاً وَ نُوح كَانَ نَجّاراً وَ إِدْرِيسَ كَانَ خَيَّاطاً وَ دَاوُدَ كَانَ زَرَّاداً وَ مُوسَى كَانَ رَاعِيًا**».

و هكذا حال بقية الانبياء (عليهم الصلاة و السلام) و لا ضير ان العمل يتطلب وقتاً يُخصّص فلا ينبغي ترك ذلك بذريعة الاستفادة من الوقت او التفرغ لاعمال اهم.. انما ينبغي ان يُحدد وقت للعمل شريطة ان لا يتجاوز المعقول، فمن يعمل ١٥ ساعه في اليوم من الطبيعي انه لا يستطيع ان يلبي الواجبات الاخرىٰ فليكون ذلك بالحدود المعقوله،ثم ان امر المعاش ليس العمل فقط و انما كل متطلبات المعيشة و ضرورات الحياة .

ج: ملاقاة الاخوان

سأل رسول الله (ص) يوماً اصحابه قائلاً اي عُرىٰ الايمان اوثق؟

---

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٦٩٨ / ٢٤١ ..... ص : ٦٩٨

فاختلفت اجاباتهم بين الصلاة و الصيام و الحج وقال بعضهم الجهاد فقال رسول الله (ص) «**لِكُلٍّ مَا قُلْتُمْ فَضْلٌ وَ لَيْسَ بِهِ وَ لَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَ الْبُغْضُ فِي اللَّهِ وَ تَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَ التَّبَرِّي مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ**»[١].

للمتمعن في هذا الحديث الشريف يتساءل كيف كان الحُب في الله و البُغض في الله اوثق من الصلاة و الصيام لحفظ الايمان؟ ولكن حين التمعن نجد أن اكثر الناس يختارون صداقاتهم في الحياة على أساس المصلحة وليس القيم الايمانية و الحال أنّه من الضرورة بمكان أن يبني الانسان صداقاته بهذه الرؤية الايمانية التي يدعونا الدين له واذ نتأمل واجبات الدين نجد أنّ الكثير منها لا يمكن ان تُطبّق لولا تلك الصداقات الايمانية التي تكون بمثابة وعاء لتطبيق الدين الالهي، فالامر بالمعروف و النهي عن المنكر و التواصي و التشاور و حقوق الاخوان التي عدها بعض العلماء بسبعين حق ناهيك عن الواجبات الاجتماعية كصلاة الجماعة و الحج كل ذلك لا يكون لولا الصداقات الايمانية.

وهكذا المؤمن قد تعتريه حالة ادبار القلب فيحتاج الى من يشدّ أزره و يقويه على نفسه الامارة و وساوس الشيطان، وقد يواجه المصاعب و المتاعب فيحتاج الى مساندة، وقد يملّ من المجتمع فهو بحاجة الى من يُنفّس عنه، وكل ذلك تتوفر في الصداقات الايمانية.

ثمّ إنّ المؤمن بحاجة الى مرآة الروح ليرى العيوب التي لا يخلو منها الّا المعصوم فهو بحاجة اذن الى الصديق و في ذلك اهمية فائقة حتى

١ المحاسن / ج١ / ٢٦٤ / ٣٤ باب الحب و البغض في الله ..... ص : ٢٦٢

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَ قَرِينِهِ»[١]

د: لذة في غير محرّم

يختلف الناس في لذائذهم وهي كلها محبذة ما لم تتجاوز الحدود، حد الحرام و حد الافراط..فربّنا جعل لنا طريق الحلال كما حرّم شيء فحين حرّم الخمر مثلاً اباح لنا مئات العصائر و المشروبات وحين حرّم لعبة الشطرنج مثلاً اباح لنا المئات من الالعاب، فالحلال اوسع من الحرام و اللذة قد تكون عن طريق الحلال و قد تكون –لا سمح الله– عن طريق الحرام الذي نُهينا عنه فاللذة محبذة لكن لو لم تتجاوز حدود الحلال، وكذلك الافراط في اللذة هو ما نُهينا عنه ايضاً لأن امام كل واحد منّا مسئوليات وواجبات و العُمر قصير كما جاء في الحكمة عن امير المؤمنين عليه السلام:«**قصّر الأمل فانّ العمر قصير و افعل الخير فإنّ يسيره كثير**[٢]».

صحيح إن في الصداقة تعاونٌ وعطاءٌ متبادل .. ولكن الصداقة بحد ذاتها هدف مقدس، لا وسيلة تجارية رخيصة.. وهذا يعني أن علينا أن نبني صداقاتنا في الحياة.. كما نبني أُسَرِنا..



---

١ الكافي (ط – الإسلامية) / ج٢ / ٣٧٥ / باب مجالسة أهل المعاصي . ص : ٣٧٤

٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٥٠٣ / ٩٣ ..... ص : ٥٠٣

رابعاً: تنظيم العلاقات

تصور نفسك في جزيرة جميلة و من حولك المناظر الخلابة تنظر من جهة الى زلال الماء وخضار الغابة وجمال الطبيعة و من جهة اخرى لا تسمع في هذه الجزيرة سوى زغردة العصافير و حفيف سعف النخل و وسوسة المطر المتساقطة برفق ولين على رؤوس الصخور الملساء فترسم على جوانبها الكسوة بالطحلب ألوان الطيف ثم تنحدر عنها متسلسلة الى حيث تسقي أحواض الازهار المهملة التي لا تمتد اليها يد، ولا تحتاج الى اي شيئ من الطعام والشراب و..الخ ولكن تصور انك تعيش في هذه الجزيرة وحدك فهل ترغب في عيشك ؟!

في مثل هذه الحالة لو لم يُجنّ المرء فإنه على افضل الاحتمالات سيستوحش و ينسى الكلام و الآداب و الاخلاق و كل شيئ.

لأنّ الانسان اجتماعي بطبعه فلا يمكن له التخلي عن هذا الطبع و

من هنا على الانسان تنظيم علاقاته بدءاً من علاقاته بالاهل و المجتمع القريب و انتهاءاً بعلاقاته بالاصدقاء و المجتمع البعيد.

في الحديث الشريف عن ابي عبد الله عليه السلام: «أَكْثِرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ يَنْفَعُونَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ أَمَّا الدُّنْيَا فَحَوَائِجُ يَقُومُونَ بِهَا وَ أَمَّا الْآخِرَةُ فَإِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ قَالُوا فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ[1]».

يحتاج المرء في جميع مراحل حياته من طفولته و حتى أن يشيخ الى صحبة الآخرين و هي لا تقتصر على أن يأنس الانسان بصديقه و يفضي اليه ما في قلبه من شجون و هموم مستمداً منه نشاطه و حيويته فحسب بل انّ الصديق قادر على النفوذ في شؤون صديقه المادية و المعنوية و التأثير على معتقداته و أخلاقه و سلوكه كلّ حسب حجم العلاقة التي تربطه بصديقه و بلغت الصداقة من الاهمية حتى صارت مقياساً لطبيعة الانسان نفسه وقد روي بأن سليمان عليه السلام قال: « **لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا من يصاحب فإنما يعرف الرجل بأشكاله و أقرانه و ينسب إلى أصحابه و إخوانه**»[2] .

انها لثروة عظيمة يكون عوناً له في الشدائد و ناصحاً له في الحيرة وفياً له في الحاجة و للدين الاسلامي نظر في نوع العلاقة التي تربط الانسان باخيه الانسان و حدودها فليست الصداقة تلك التي تجمعهم موهبة لشخص او حديث ممتع او هئية جميلة و ليس الصديق ذلك الذي يبحث عني حين اكون قادرا على أداء خدمة له ثم يهملني بعد أن

---

١ مصادقة الإخوان / ٤٦ / يا باب منفعة الإخوان

٢ كنز الفوائد، ج١، ص: ٩٨

أتم اداؤها انما هي علاقة مبدئة تربط الانسان بقرينه.

وهذا يعني ايضاً أن علينا أن نستعمل الذوق، والفكر، والقلب، والضمير معاً في صناعة الصداقات وتكوين الأصدقاء.

و يختلف الناس في تكوين الصداقات فمنهم من يميلون الى الوحدة و الانطواء فهم يظنون أن تكوين الصداقات لا يعني الّا ضياع الوقت و التأثر بما يحويه المجتمع من ثقافات مختلفة وهذه النظرة مخالفة للفطرة الانسانية و اللّب السليم فالانسان خُلق اجتماعياً و عليه التعامل من الناس شاء ام أبى هذا فضلاً عن الروايات الكثيرة التي تحثّنا على أهمية تكوين العلاقات الاجتماعية، و منهم من يغوص في بحر الصداقات لأنّ تكوين الصداقات هوايته المفضلّة ويصرف له من الوقت و الجهد و المال ما لا يصرفه على نفسه !او ترى أنّ الصداقة عنده اكثر من مجرد علاقة فتراه لم يعد يفكر في الحياة سوى بصديقه و قد ينشغل عن الواجبات ولكنه لا يترك لقاء صديقه وحتى أنه يتنازل عن بعض مبادئه من اجل الصديق وهذا ليس مقبولاً بالطبع و يمكن أن يؤدي الى ما لا يحمد عقباه.

لكنّ الاسلام الذي حثّنا على تكوين الصداقة رسم لنا معالم تلك الصداقة و حدودها.

اولاً: ابحث عن الكنز

الأصدقاء كنوز، يجب البحث عنهم، وتحمّل التعب من أجل اكتشافهم، حتى لا يختلط علينا الحجر والجوهر، فنقتني الأحجار،

ونحن نظن أنّها الجواهر.

و إذ أنّ الانسان بحاجة الىٰ الاحجار ايضاً في الحياة لكن تبقىٰ علاقته باولئك الناس سطحية لا تتوسع الّا في اطر محدودة وليست كتلك العلاقة التي تكون مع الكنوز من هنا فالتحديدات التي وردت في الروايات هي في الظاهر بيان لصفات ذلك الصديق المثالي الذي يصعب ايجادها حتىٰ صاروا كالكبريت الاحمر ففي الحديث الشريف:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ: «قَامَ رَجُلٌ بِالْبَصْرَةِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ الْإِخْوَانِ فَقَالَ الْإِخْوَانُ صِنْفَانِ إِخْوَانُ الثِّقَةِ وَ إِخْوَانُ الْمُكَاشَرَةِ[١] فَأَمَّا إِخْوَانُ الثِّقَةِ فَهُمُ الْكَفُّ وَ الْجَنَاحُ وَ الْأَهْلُ وَ الْمَالُ فَإِذَا كُنْتَ مِنْ أَخِيكَ عَلَى حَدِّ الثِّقَةِ فَابْذُلْ لَهُ مَالَكَ وَ بَدَنَكَ وَ صَافِ مَنْ صَافَاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ وَ اكْتُمْ سِرَّهُ وَ عَيْبَهُ وَ أَظْهِرْ مِنْهُ الْحَسَنَ وَ اعْلَمْ أَيُّهَا السَّائِلُ أَنَّهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ وَ أَمَّا إِخْوَانُ الْمُكَاشَرَةِ فَإِنَّكَ تُصِيبُ لَذَّتَكَ مِنْهُمْ فَلَا تَقْطَعَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَ لَا تَطْلُبَنَّ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ ضَمِيرِهِمْ وَ ابْذُلْ لَهُمْ مَا بَذَلُوا لَكَ مِنْ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ وَ حَلَاوَةِ اللِّسَانِ»[٢].

فالصداقات المصلحية من السهولة ايجادها لكن الصعوبة في ايجاد الصدقات الهادفة و الايمانية التي ينبغي فيها توفر الصفات المُثلىٰ و اليكم بعضها[٣]:

---

١ الكشر: ظهور الأسنان في الضحك، و كاشره إذا ضحك في وجهه و باسط.

٢ الكافي (ط - الإسلامية)، ج٢، ص: ٢٤٨

٣ انك حين تنظر الىٰ من يحيطون بك من اترابك و تتفحص احوالهم تراهم مختلفين يحمل كل منهم صفات ايجابية و اخرىٰ سلبية و اننا اذ نسوق هذه الروايات نحث علىٰ

ثانياً: لا تصاحب

لا تصاحب الاحمق يقول امير المؤمنين عليه السلام: «**صديق الأحمق في تعب**»[١]

الحمق، بمعنى قلة العقل أو كساده. فلا يشاور ولا يلتفت اليه و احمق الناس من ظنّ أنّه اعقل الناس فهو معجب بنفسه ورأيه. وقد يشفى السقيم و يحيى الميت و لكن الحمق داء ما من وراءه من حل وكما يروى عن النبي عيسى عليه السلام أنّ قال: «**دَاوَيْتُ الْمَرْضَى فَشَفَيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَبْرَأْتُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللهِ وَ عَالَجْتُ الْمَوْتَى فَأَحْيَيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَالَجْتُ الْأَحْمَقَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحه فَقِيلَ يَا رُوحَ اللَّهِ وَ مَا الْأَحْمَقُ قَالَ الْمُعْجَبُ بِرَأْيِهِ وَ نَفْسه الَّذِي يَرَى الْفَضْلَ كُلَّهُ لَهُ لَا عَلَيْه وَ يُوجِبُ الْحَقَّ كُلَّهُ لِنَفْسِهِ وَ لَا يُوجِبُ عَلَيْهَا حَقّاً فَذَاكَ الْأَحْمَقُ الَّذِي لَا حِيلَةَ فِي مُدَاوَاتِهِ.**[٢]»

لا تصاحب البخيل ففي الحديث الشريف عن علي ابن الحسين عليه السلام قال: «**وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ فِي مَالِهِ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ.**»[٣]

اختيار احدى الامرين امّا تخليص صديقك من هذه الصفات السلبية وهو افضل لأنه نهي عن المنكر و ما احلى الصداقة لو أنمت التدين في الصديق، و اذا لم تستطع من تخليص صديقك من الصفات السلبية لا تتردد في تحجيم علاقتك معه او قطعها اذا تجد أنّها تؤثر على سولكك سلبياً.

١ غرر الحكم و درر الكلم / ٤٢١ / ٤٥ ..... ص : ٤٢١

٢ بحار الأنوار (ط - بيروت) / ج٦٩ / ٣٢٠ / باب ١١٧ استكثار الطاعة و العجب بالأعمال ..... ص : ٣٠٦

٣ الكافي (ط - الإسلامية)/ ج٢/ ٦٤١/ باب من تكره مجالسته و مرافقته ....

فالذي يبخل عليك بتوافه الدنيا لا يستحق أن تتخذه خليلاً لأن منزلتك عنده ادنىٰ من امواله.

لا تصاحب الكذاب، ففي الحديث: «**إِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيدَ وَ يُبَاعِدُ لَكَ الْقَرِيبَ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةَ الْفَاسِقِ**»[1]

لأن الكذاب كالسراب تراه في القفار و قد اخذ منك العطش مأخذه وحينما تريد أن تلجأ اليه لتروي احشاءك به تصطدم بالواقع حيث لا ماء ولا مؤنس ولا صديق.

لا تصاحب المتملق: عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال :«**لا تصحب المالق فيزيّن لك فعله و يودّ أنّك مثله**»[2] المتملق هو ذلك الانسان الذي يطلق لسان التمجيد و التبجيل بدوافع في نفسه فيحبب لك شيئاً أو يبغض لك آخر بالفاظه المنمقة فهو يحسن لك القبيح و يبغض اليك النصيح و هكذا يتودد اليك اكثر مما ينبغي بل ويعطي من لسانه ما ليس في قلبه.

لا تصحاب الفاجر وهو كما في اللغة الساقط و المائل عن الطريق لأن الاطباع لو تلاقحت لفترة ستتبادل لا شعورياً بين الصديقين و لهذا كانت الصداقة دليلاً وعلامة علىٰ الانسان نفسه و من هنا علينا اختيار الصحبة التي تؤثر ايجابياً علينا بشكل عام وليس العكس.

و كما جاء في الحديث الشريف: «**وَ لَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَيُعَلِّمَكَ مِنْ**

ص: ٦٣٩

١ الكافي (ط - الإسلامية) / ج٢ / ٣٧٦ / باب مجالسة أهل المعاصي.. ص : ٣٧٤

٢ غرر الحكم و درر الكلم / ٧٥٢ / ١٥٧ ..... ص : ٧٥٢

فُجُورِهِ»[١]

ثالثاً: صفات الصديق الصدوق

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) «**انْظُرُوا مَنْ تُحَادِثُونَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ كَانُوا خِيَاراً فَخِيَاراً وَ إِنْ كَانُوا شِرَاراً فَشِرَاراً وَ لَيْسَ أَحَدٌ يَمُوتُ إِلَّا تَمَثَّلْتُ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ**»[٢]

الصديق انما هو انت .. الّا انه غيرك!!

فمصاحبة الاخيار له من المنافع الاخروية و الدنيوية على حد سواء وفي الرواية عن ابن عباس قال:

«**قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْجُلَسَاءِ خَيْرٌ قَالَ: مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَ زَادَكُمْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَ ذَكَّرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ**»[٣] .

فهو مؤمن تتجلى فيه القيم الربانية و الصفات المُثلى بحيث لو نظرت اليه لتذكرت الله و الايمان .. و المؤمن يميّز عادة عن غيره لأنّ فيه سيماء خاص وبهاء فريد تشخّص فيه باول نظرة عليه يقول القرآن

---

١ الخصال / ج١ / ١٦٩ / أمر الباقر ع ابنه الصادق ع بثلاث و نهاه عن ثلاث ..... ص : ١٦٩

٢ الكافي (ط – الإسلامية) / ج٢ / ٦٣٨ / باب من يجب مصادقته و مصاحبته ..... ص : ٦٣٨

٣ الأمالي (للطوسي) / النص / ١٥٧ / [٦] المجلس السادس

الحكيم في صفة المؤمنين:

«**سيماهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**» (الفتح/ ٢٩) و هذه هي صفة المؤمنين التي ينبغي البحث عنهم ومصادقته و ليس الايمان فقط و انما المنطق ايضاً فتفكيره السليم الذي يسقي ثقافته الاصلية و سلوكه القويم تعلمك دروساً كثيرة تنفعك في امر دنياك و دينك، واخيراً لا يلهيك هذا الصديق عن امر اخرتك بل ويزهدك في الدنيا و يرغبك في الآخرة لأنّ اعماله تصرفك عن هذه الدنيا الفانية الى دار الخلود الباقية.

رابعاً:خطوات نحو الصداقة

إن الصداقة ليست مسألة جانبية في الحياة لنتركها للصدف،بل هي من القضايا المُلحّة التي ترتبط بشكل أو بآخر بمصير المرء ومصائر الآخرين، وكما أن ليس من الصحيح اختيار الصديق اعتباطاً كذلك من الخطأ التعامل اعتباطاً مع الاصدقاء و لذلك جاء في الحديث الشريف: «**أَعْجَزُ النَّاس مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ وَ أَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ**»[1].

العلاقة بالصديق

١ نهج البلاغة (للصبحي صالح)/ ٤٧٠ / ١٢ - ..... ص : ٤٧٠

ليست الصداقة الحقيقة هي تلك العلاقة المصلحية التي تربط الانسان بنظيره فتلك صداقة المكاشرة وبنظرة خاطفة الى الواقع نعرف ان الصداقات ويمكن ان نقسم الصداقة الى ثلاثة اقسام اولاها السلبية فما يجمع اصحاب هذه الصداقات الّا المحرمات و الفواحش اعاذنا الله منها و الثاني هي الصداقات الهزلية التي يجتمع فيها الناس عادة لتقضية اوقاتهم و للكلام الفارغ واللعب و هي منتشرة بشكل كبير. اما القسم الثالث من الصداقات فهي الصداقات الايمانية او الرسالية الهادفة و التي تُبنى على اسس رصينة هي:

أ: **الحب في الله والبُغض في الله**. فان كانت المصلحة تجمع انسان بآخر فهي لا تلبث ان تزول بزوال المصلحة انما الحُب في الله و البُغض في الله هو الطريق لبناء رصين للصداقة وفي الحديث عن النبي الاكرم (ص) قال : «**ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الاسلام، مثل أخ يستفيده في الله**[1]»

وقد ورد عن الامام ابي عبد الله (ع) قوله: «**من اوثق عرى الايمان ان تحبّ في الله وتبغض في الله و تعطي في الله، وتمنع في الله**[2].»

فهذه هي الاخوة الحقيقية يقول امير المؤمنين عليه السلام: «**خير الإخوان من لم تكن على الدنيا أخُوّته**[3]»

فلا تجمعهما المحرمات و لا اللغو ولا الهزل، انما يشدّ بعضهم البعض من أجل تنمية الايمان و رضى الرحمن.

---

١ حلية المتقين ص ٤٧١
٢ الكافي ج٢ ص ١٢٥
٣ غرر الحكم / ٥٠٣٠

و هكذا تراعى حدود الصداقة حينما تكون في اطار الايمان فلا افراط وتجاوز لحدود الصُحبة ولا تفريط بالتقصير في اداء حقوقه.

ب:**الهدف المشترك**: تنمو العلاقة بين الافراد كما اغصان الشجرة الطيبة تستقي غذائها من جذر واحد وهو منبع الوحي حيث يتغذى الافراد روحياً من ذلك النبع الصافي وليس هذا فحسب وانما تتصاعد العلاقة ليكون الهدف مشتركاً نحو ثمار طيبة لكل غُصن.

فقد تختلف الاعمال و تتباين بعض الاهداف الفرعية ولكن يتفقان على ثوابت ويسيران في النهاية على ذات النهج نحو اهداف مشتركة.

خامساً: متممات الصداقة

أمور صغيرة تؤدي إلى نتائج كبيرة، في العلاقات الاجتماعية، ليست القضايا الكبيرة دائماً هي التي لها التأثير الكبير، فأحياناً تكون هنالك أمور صغيرة لها فعل المعجزة في كسب الناس، وتوطيد العلاقة معهم، والتأثير فيهم.

أ: تقديم الهدايا ففي الحديث الشريف: «**الْهَدِيَّةُ تُورِثُ الْمَوَدَّةَ وَ تُجَدِّدُ الْأُخُوَّةَ وَ تُذْهِبُ الضَّغِينَةَ**».

فمهما كانت الهدية صغيرة لكن نتيجتها كبيرة

ب: تبادل الزيارات يقول رسول الله (ص) «**من زار أخاه في بيته، قال عز وجل له: أنت ضيفي وزائري، عليّ قراك وقد أوجبت لك الجنة**

بحبك إياه[١]**»**

ثالثاً: المصافحة والمعانقة قال الإمام الصادق(ع)لأحد اصحابه: **«أَوَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا فَتَصَافَحَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الرَّحْمَةَ عَلَيْهِمَا فَكَانَتْ تِسْعَةٌ وَ تِسْعُونَ لِأَشَدِّهِمَا حُبّاً لِصَاحِبِهِ فَإِذَا تَوَافَقَا غَمَرَتْهُمَا الرَّحْمَةُ»** [٢].

و أيضاً التقبيل حيث جاء في الحديث: **«إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُقَبِّلْ مَوْضِعَ النُّورِ مِنْ جَبْهَتِهِ»**[٣].

إن المرء إذا توج لقاءه مع صديقه بالقبلة، فقد حاز على كل ثمار المحبة، وعمّق جذورها في نفسه، ونفس صديقه أيضاً.

---

١ الكافي (ط - الإسلامية) / ج٢ص١٧٧

٢ الكافي (ط - الإسلامية) / ج٢ / ١٨٢ / باب المصافحة ..... ص : ١٧٩

٣ تحف العقول / النص / ٢٣٦ / و روي عنه ع في قصار هذه المعاني .. ص : ٢٣٣

الفهرس